شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية

العدد (99) 15/1/2011



هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سفر الخلود ومعهدُ الآثارِ



المرجعية الوهابية لتنظيمات القاعدة



ويكيليكس وسياسة السعودية الباكستانية



نايف: حارب الإرهاب ونال عطف واشنطن



في اجتماع مدته 30 دقيقة

ذات الشوارب تسقط اتفاق (س. س)

هذا العدد

دولة الأجنحة

حتى لا يساء تفسير العنوان من قبل الأبرياء والخبثاء على السواء، فإن من الضروري بيان حقيقة أنه يندر أن نجد دولة في العالم ليس فيها صراع أجنحة، على اختلاف الأشكال والمسميّات، فقد يكون صراع أجنحة داخل الحزب الحاكم، أو داخل العائلة المالكة أو الحاكمة (على أساس أن ليس كل كل عائلة مالكة هي بالضرورة حاكمة كما في، على سبيل المثال، المملكة المتحدة)، أو داخل الفريق الإنقلابي الواحد، مع أن عصر الإنقلابات العسكرية قد شارف على نهايته، رغم حنين الشعوب المقهورة لمثل هذه التغييرات الدراماتيكية كونها قد تحمل فرجاً حتى وإن كان وهمياً.

وفيما يبدو، فإن صراع الأجنحة من الأمراض المزمنة التي لا تنجو دولة منه طالما تضاربت المصالح، ووجد من يغذي الصراع سواء من (الحاشية) أو المقرّبين من رؤوس الأجنحة، أو من قوى خارجية. ولكن صراع الأجنحة في السعودية، رغم أوجه الشبه بينه وبين صراعات أجنحة في دول العالم، يبدو مختلفاً بل وفريداً أحياناً، لماذا؟ لأن..

- صراع الأجنحة في المملكة بدأ مع ولادة الدولة، والسبب في ذلك أن كل جناح يتعاطى أمر الدولة كما لو أنها عقار خاص، يتوارثه الأبناء عن الآباء، ويرى كل جناح بأن له حقاً إن أعطيه وإلا ركب أعجاز الإبل. ولذلك، فإن صراع الأجنحة في العائلة المالكة مرتبط تكوينياً بنزعة التمّلك لدى كل جناح حيال الدولة، والجميع يتصرّف على أساس أن الآخرين، أي المواطنين، ليسوا أكثر من مجرد رعيّة تابعة ملحقة، لا يجوز لها أن تطلّع على شؤون الملك، لأنها بذلك تتدخّل فيما لا يعنيها، وتدسّ أنفها في غير أمورها.

- إن صراع الأجنحة في المملكة يكاد يكتسب صفة الثبات، فمنذ أكثر من ثلاثة عقود، والناس ووسائل الاعلام لا تعرف صراعاً على السلطة إلا بين جناحي الملك عبد الله (منذ كان رئيساً للحرس الوطني ثم ولياً للعهد) والجناح السديري (أو ما كان يعرف سابقاً بالسديريين السبعة). صحيح أن عدد المتصارعين تقلّص خصوصاً في الجانب السديري، وصار محصوراً بين ثلاثة (الأمير سلطان، والأمير نايف، والأمير سلمان)، إلا أن الثلاثة أورثوا أبناءهم تركة صراع قابلة للتوظيف في صراع أجنحة مستقبلية، ويمكن تخيّل كيف تكون علاقة على سبيل المثال الأمراء متعب بن عبد الله، وخالد بن سلطان، ومحمد بن نايف، وفهد بن سلمان، فضلاً عن الأمراء الآخرين من أبناء الأمراء الكبار أو أبناء الملك فهد مثل محمد بن فهد، وعبد العزيز بن فهد، وأبناء فيصل (خالد وتركي وسعود)، ومن بقي من أعضاء الجيل الأول (أصغرهم سنّاً الأمير مقرن بن عبد العزيز رئيس الاستخبارات العامة)..ولكن سيبقى الصراع في قادم السنوات بين نفس الأجنحة، على مستوى الأبناء.

ولكن ما هو متوقّع في المرحلة المقبلة، والتي نقترب من بدايتها بوتيرة متسارعة أن يكون صراع الأجنحة ليس بطابع ثنائي، بل بطابع متعدّد، وقد يستقطب أجنحة جديدة كانت مهمّشة في السابق، أو أخرى تخشى أن يطالها التهميش في لحظة ما، أو لشعورها بأن لها حقاً مكافئاً للأجنحة الأخرى فتخوض الصراع على هذا الأساس. في نهاية المطاف، ستتسع رقعة صراع الأجنحة دون ريب، وستعكس نفسها على خارطة التحالفات الداخلية والخارجية (إقليمياً ودولياً).

- من وجهة نظر واقعية، لا يبدو مشهد صراع الأجنحة في المرحلة المقبلة سهلاً ولا سلساً، وأن صراع الأبناء القريبين من مرحلة التأسيس يختلف تماماً عن صراع الجيل الثالث الذي ورث السلطة دون عناء، أو إحساس بعناء من سبق، ولا يبدو أن الأبناء الذين أسرفوا حد السفه في الانغماس في الملذات يدركون ما يجب عليهم فعله كيما يؤجّلوا قدر مملكتهم، أي انفراط عقدها، وتناثر أجزائها.

إذاً، فإن صراع الأجنحة في السعودية متوارث كتوارث السلطة نفسها، ولا نجد له مثيلاً في دول أخرى، تعيش صراعات أجنحة ولكن لا على قاعدة نقل الصراع من الجيل السابق الى الجيل اللاحق، إلا إذا كان هناك صلة وثيقة بين الجيلين.

- كانت العائلة المالكة تحرص في السابق على الحيلولة دون تحوّل صراع الأجنحة الى فوضى تؤول الى انفلات السيطرة على الحكم، فكانت تبقي قبضتها محكمة على مصادر المعلومات، وحتى الذين كانوا يتبرّمون من سلوك إخوانهم، أو يجهرون بتذّمرهم من بعض القرارات (كما في موقف الأمير طلال بن عبد العزيز من تعيين الملك عبد الله الأمير نايف نائباً ثانياً لمجلس الوزراء)، ما يلبث أن يكفّروا عن ذنب الجهر بالسوء، ويتمسّكوا بالمبدأ الجامع (الملك لآل سعود). لا ننسى أيضاً أن اقتصار صراع الأجنحة على طرفين يجعل إمكانية السيطرة على مصادر التسريب سهلة، ولكن الصعوبة تكمن في حال إتّسعت دائرة صراع الأجنحة وصار عشرات الأبناء داخل حلبة التنافس على السلطة، فكيف سينجح الأبناء في لجم مصادر المعلومات، إن لم تدخل الأخيرة كعامل جديد في صراع الأجنحة، ولكن تحت قيادة الأبناء.

من الواضح، أن الشكوك حول مدّة بقاء العليلين (الملك وولي العهد) على قيد الحياة، قد أشعلت بصورة مبكرة صراع أجنحة في عباءة العائلة المالكة، حيث يخوض الأبناء من الجيل الثالث في حياة آبائهم جولة تدريبية على صراع الأجنحة..وما يثير حقاً، أن الآباء لم يتخلوا عن مواقعهم، وخصوصاً الأمير نايف، بانتظار حسم مواقع مأمولة، فمن أدمن المؤامرات لا يأمن لأحد حتى لو كان إبنه المدلّل، وقد قيل قديماً (الملك عقيم).

السعودية.. مهوى أفئدة الطغاة!

محمد قستي

لم يجد الطاغية زين العابدين بن علي مأوى يلجأ إليه سوى السعودية.

رفضه صديقه القذافي، وتخلّى عنه ساركوزي وحماته الفرنسيون بعد احتضان وتأييد دام أكثر من ٢٢ عاماً.

طلب الفرنسيون منه أن يبحث عن مكان آخر، وتمت مراقبة تحويلات الأموال من قبل زمرته الناهبة، وأخيراً طُلب من بقايا عائلته المقيمين في فرنسا بمغادرتها على وجه السرعة.

كانت فرنسا التي دعمت بن علي حتى اللحظات الأخيرة، تريد التكفير عن جريمتها في دعمه، والتودد الى العهد الجديد. لقد انتهت باريس من بن علي كسيجارة تم دعسها بالحذاء، ليؤكد المشهد حقيقة أن الغرب انتهازي لا يهمه إلا مصالحه، وهو لا يهتم بحركة الشعوب وتأييدها الا بعد ان تثبت نفسها.

وظلت طائرة بن علي تطوف الدنيا، ولا نعلم كم بلد رفض استقباله، في مشهد يذكرنا بما حدث لطاغية إيران قبل أن يستقبله الطاغية المصري الراحل أنور السادات (البهاما، المغرب، مصر.. بعد ان رفضت اميركا استقباله).

وفجأة تحط طائرة بن علي في جدّة، ليظهر بعدها الى النور بيان من الديوان الملكي يبرر الموقف الرسمي. يقول البيان حسب وكالة الأنباء السعودية:

الرياض ١٠ صفر ١٤٣٢ هـ الموافق ١٤ يناير ٢٠١١ ـ واس صدر عن الديوان الملكي اليوم البيان التالي:

انطلاقا من تقدير حكومة المملكة العربية السعودية للظروف الاستثنائية التي يمر بها الشعب التونسي الشقيق، وتمنياتها بأن يسود الأمن والاستقرار في هذا الوطن العزيز على الأمتين العربية والإسلامية جمعاء، وتأييدها لكل إجراء يعود بالخير للشعب التونسي الشقيق، فقد رحبت حكومة المملكة العربية السعودية بقدوم فخامة الرئيس زين العابدين بن علي وأسرته إلى المملكة. وإن حكومة المملكة العربية السعودية إذ تعلن وقوفها التام إلى جانب الشعب التونسي الشقيق لتأمل ـ بإذن الله ـ في تكاتف كافة أبنائه لتجاوز هذه المرحلة الصعبة من تاريخه. والله الموفق.

وقبل أن نتحدث عن البيان، لنتحدث قليلاً عن هذه السعودية التي أصبحت مأوى للطغاة ومهوى لأفئدتهم.

فبن علي لم يكن الرئيس الأول الذي يجد نفسه طريداً بين أحضان السعوديين. فقد سبقه رؤساء عدّة، لم يكن النميري قبل أن يستقر في مصر، ولا سياد بري الصومال، ولا عيدي أمين أوغندا، ولا نواز شريف الباكستان، ولا عشرات من الطغاة الصغار إلا نماذج لذلك. فما هو سرّ هذا الهوس السعودي باستضافة الطغاة في وقت يتجنبهم العالم مثلما يتم تجنّب مرضى الأيبولا؟!

هل هي حالة انسانية، تتنزّل على الطغاة السعوديين، فتجعلهم يشفقون على بني جنسهم؟!

أم هي حالة إنسانية مشفقة على ما وصل اليه وضع التونسيين الذين يريدون محاكمة الطاغية، فتظاهروا امام السفارة السعودية في باريس مطالبين بإعادته الى تونس الى محاكمته؟!

اعتبر البيان السعودي استقبال بن علي (عفواً: فخامة الرئيس ـ كما يقول البيان) إجراء مساعداً للتونسيين سيعود بالخير عليهم. أي أن البيان زايد على التونسيين أنفسهم، مع أن الأمراء لم يشاوروا سوى الأميركيين في استضافة الطاغية بجدّة. وحسب معلومات خاصة، فإن وزيرة الخارجية الأميركية تفاجأت بالإتصال السعودي، ولم تتوقع أن يتم مشاورتها في أمر كهذا، فما كان منها إلا أن أيدت إبقاء بن علي بعيداً ومنحه اللجوء في السعودية.

إن إنسانية آل سعود، لم تشمل أولئك المعارضين التونسيين الذين قبضت عليهم وهم يؤدون الحج أو العمرة، وأرسلتهم الى بن علي ليفتك بهم.

وإنسانيتهم حتّمت عليهم إعادة الشيخ راشد الغنوشي، زعيم حركة النهضة، لثلاث مرات من جدة وهو بلباس الإحرام، بالرغم من أنه يحمل تأشيرة أداء الحج!

كانت أفضل وسيلة للتضامن مع الشعب التونسي، إبقاء حاكمها طريداً يبحث عن ملجأ، بعيداً عن العالم العربي.

وكان من المعلوم جيداً بأن ما قام به طغاة الأمراء في الرياض، إنما كان تضامناً مع طاغية مثلهم.

كانوا ولازالوا زاهدين في العلاقة مع شعب تونس. وإلا لا يمكن لنظام أن يجازف بإظهار التعاطف مع طاغية قتل شعبه وأهانه وهجّر نخبته وقمعهم وسلبهم رغيف الخبز، إلا ان يكون غير مهتم بالعلاقة مع ذلك الشعب، وأن العلاقة مع تونس بعهدها الجديد أمراً غير مهم. وهذه واحدة من محن السياسة الخارجية السعودية، فرغم تدهورها على أكثر من صعيد، فإنها ستصاب بنكسة إضافية في منطقة الشمال الأفريقي.

بن علي كان ولازال صديقاً للسعوديين.

كان الأمراء معجبين به أيّما إعجاب، تماماً مثل الغرب، ولذات الأسباب: مكافحة الأصولية الإسلامية!!

أمرٌ غريب، فالسعودية متهمة بالأصولية أيضاً! ولطالما اتهم (الصحويون) الوهابيون بداية التسعينيات الميلادية، الأمير نايف، بأنه يتبع حذو القذة بالقذة سياسة بن علي في قمع خصومه.

كان جناح الأمن الذي يمثله وزير الداخلية السعودي نايف، رجل السعودية القوي، قد تبنّى بالكامل منذ بداية التسعينيات الميلادية الماضية سياسة بن علي الحرفية في مجال ما كان يسمّى بـ (تجفيف منابع الإرهاب).

وكان الوزير ـ الأمير نايف، لا تطيب له إجازة إلا في ربوع تونس، وفي ضيافة صديقه بن علي. هذا بعكس ما يقوم به إخوته الأمراء والملك نفسه، ممن يفضلون تمضية عطلاتهم هناك في أقصى المغرب العربي: أغادير والدار البيضاء وغيرهما!

على صعيد آخر، بقي التنسيق الأمني بين السعودية وتونس قوياً متصاعداً. ومن أدرك طبيعة العلاقات بين البلدين، وبين الشخصين (نايف وبن علي) مذ كان هذا الأخير وزيراً للداخلية، يدرك بأن استقبال السعودية لهذا الأخير لم يكن مفاجئاً. فمن عادة السعوديين أن يستقبلوا الطغاة، خاصة ممن هم على شاكلة بن علي.

لا يعتبر طغاة السعودية أنهم جازفوا بعلاقات مملكتهم مع العهد الجديد في تونس حين استقبلوا الطاغية بن علي. بالرغم من أنهم يشهدون نفور أصدقاء بن علي منه، سواء أولئك الذين تآمروا عليه ضمن طاقم الحكم، أو أصدقاءه في أوروبا، وفي مقدمهم ساركوزي.

من البديهي أن نظاماً ملكياً تسلطياً فاسداً لا يرحب بالثورات، خاصة إذا ما وجهت ضد حليف وصديق مثل بن علي. والأمراء لم يعودونا الترحيب بأي ثورة أو حتى انتفاضة مصغّرة، ولطالما بيّن لنا (وعاظ السلاطين) التابعين للنظام لا جزاهم الله خيراً، مساوئ الإنتفاضات والثورات (نسبة الى الثور! كما يقولون).. كل ذلك حماية لمصالحهم ومصالح النظام الذي يمتطيهم لتحقيق أهدافه وفي مقدمها فرض الخنوع على الشعب.

بديهي إذن أن يكنّ الأمراء السعوديون العداء للتحركات الشعبية الثورية التي أسقطت النظام في تونس، كونه تحرك غير مسبوق في العالم العربي، ولأنه سحق النموذج الذي كانت السعودية والغرب عموماً ينظرون اليه بإعجاب في قمع الخصوم.

ليس هذا فحسب، فهناك جانب آخر يمثل خطراً على حكم آل سعود الطغاة. إنه الخشية من انتقال بعض رذاذ الإحتجاج والثورة الى الشعب (المسعود). فهذا الشعب الذي يمتلك أكبر مخزون نفطي في العالم.. يعيش ٣٠٪ منه تحت خط الفقر (حسب الإحصائيات الرسمية).

وهذا الشعب المسعود يشهد فساد الأمراء الذي يوازي جميع الفساد في العالم العربي مجتمعاً.

وهذا الشعب المسعود يعيش خريجو جامعاته وشبابه بطالة، أين منها بطالة التونسيين!

لهذا حقّ لطغاة آل سعود أن يخشوا ثورة تونس، وأن يحتضنوا طغاتها.

أثناء التحركات الشعبية التونسية، اعتصم مجرد ٢٠٠ خريج جامعي أمام وزارة التربية والتعليم في الرياض مطالبين بالتوظيف، فقد مضى على بعضهم عشر سنوات بلا عمل منذ أن تخرجوا! فما كان من الأمن إلا أن فرّقهم، ومن حسن الحظ انه لم يطلق عليهم الرصاص!

الأمير نايف، شقيق الطاغية بن علي، ألحّ في تصريحات له على أن يتم الإهتمام بالشباب من قبل القطاع الخاص والعام على حدّ سواء!!

الطغاة لا يتعلمون بسرعة، ولا نظن أن آل سعود يتعلمون. ربما يتخذون إجراءات محدودة في الفترة القادمة، للتضليل، ولإقناع المواطنين بأنهم جادّون في حل مشاكل البطالة والإسكان وغيرها (عدا الإصلاح السياسي فهذا من المحرمات لدى طغاة آل سعود!!)، لكنهم سيعودون الى سيرتهم الأولى، الى أن يدهمهم طوفان الشعب في يوم ما، هم يعتقدون بأنه لن يأتي أصلاً، تماماً مثلما كان بن علي ـ صديقهم الطاغية ـ يعتقد!

مكة المكرمة مهوى أفئدة المؤمنين الآمنين.

وآل سعود يريدونها مأوى الطغاة والمجرمين.

الطاغيتان بن علي ونايف ـ تونس، ٢٠١٠/٣/١٧

تثير الإضطراب والدموية فيما حولها

الأيديولوجية السعودية وحتميّة العنف

حضور الأيديولوجية الدينية السعودية في بلد ونموّها فيه، مؤشر على أن ذلك البلد لن يتمتع باستقرار، وأنه أقرب الى الصراع بين فئاته الى حد الإحتراب بالسلاح

محمد السباعي

تعتبر الباكستان البلد الوحيد في العالم الذي حافظ السعوديون فيه على نفوذ عقائدي/ سياسي مستمر.

الباكستان يمكن اعتبارها المختبر الأفضل لدراسة تجربة تصدير الأيديولوجيا الدينية السعودية في العالم، أو ما يمكن تسميته بـ (تصدير الأيديولوجيا). التجربة السعودية في التصدير ناجحة، ما يجعل قراءاتها ومعرفة مآلاتها أمراً مهماً، خاصة إذا ما ارتبطت بتأثيرات حاضرة على المشهد السياسي في أكثر من بلد.

هناك بلدان كثيرة تمتع فيها السعوديون بنفوذ سياسي فحسب، وعادة ما يصاحب ذلك النفوذ السياسي شيئ من النفوذ العقدي الأيديولوجي الوهابي الداعم، ولو كان قليلاً، حسب طبيعة البلد ورؤية الحكام السعوديين لغاياتهم منه، وكذلك بالنظر الى حجم ممانعة الدولة الأخرى المستهدفة أو الحاضنة للصادرات الأيديولوجية السعودية.

فمثلاً، حتى وقت قريب، لم يكن الحكام السعوديون يبتغون حضوراً أيديولوجياً وهابياً لهم في لبنان، بل كانوا يكتفون بنفوذهم السياسي. فهم قد اعتبروا لبنان ساحة تسلية وسياحة وربما فجور، وحضور الوهابية هناك لا يخدم هذه الرؤية الملكية السعودية. ومن جهة أخرى، فإن السلطات الدينيّة السنيّة في لبنان هي أقرب ما تكون الى الإسلام المصري الأزهري منها الى الإسلام السعودي، الوهابي التكفيري والذي يصعب احتضانه والإستفادة منه في بلد مثل لبنان، بل قد يعتبر احتضان الوهابية أداة تفجير داخلية للمؤسسة الدينية السنيّة نفسها وأداة تفجير اجتماعي واسعة النطاق.

لهذا لم يكن للوهابية سوى حضور رمزي في لبنان، وعلى حاشية السياسة، وفي الغالب في مناطق الأطراف وليس في القلب، اي في المخيمات والأماكن الفقيرة. لبنان يكاد يكون مستثنى من الترويج الوهابي، لولا حدوث أمر خطير.

إنها حرب تموز ٢٠٠٦، التي اعتبرت السعودية نتائجها كارثية عليها، وأدت الى المزيد من الإنحطاط في نفوذها، ما جعلها تستعين بأيديولوجيتها الوهابية في مقاومة حزب الله. ويمكن تسجيل الحضور الأيديولوجي السعودي في لبنان بعد ٢٠٠٦، كرد فعل على الهزيمة السعودية الإسرائيلية في الحرب، وهو ما حفّز الجسد الديني السعودي الوهابي، وليس فقط الجسد السياسي منه والذي يمثله آل سعود، ليعود الى عرين الأيديولوجيا الدينية كمصدّات أمام منافسات النفوذ الإقليمية.

ولهذا نلاحظ صعوداً متزايداً للنفوذ السلفي السعودي بعد ٢٠٠٦، لا باتجاه منافسة حزب الله في مواجهة اسرائيل، بل لمواجهة حزب الله نفسه. الحضور السلفي متعدد اليافطات لا يعدو غاية واحدة: مواجهة حزب الله. بعد ٢٠٠٦، ترى القاعدة تعمل الى جنب الأمير بندر، الى جنب الحريري، في انسجام مريب. هذا ما يمكن ملاحظته بوضوح في أحداث نهر البارد. فهناك جماعة سلفية قاعدية، ترتبط بعض قياداتها بالمخابرات السعودية والأردنية، ويشرف عليها الأمير بندر بن سلطان، وهناك تمويل واضح من البنوك جاءت من طرف الحريري، والأكثر هناك عشرات المواطنين السعوديين استدعوا من ديارهم الى نهر البارد استعداداً للمعركة، فجاؤوا مباشرة من المطارات السعودية (وهم قلّة)، أو عبر الإمارات وقطر وغيرها (وهم الأكثرية). هؤلاء السعوديون لا يمكن القول أنه تم شراؤهم بالمال، في وقت جاؤوا ليخضبوا بدماءهم الأرض في مواجهات طائفية!

تجربة تصدير الأيديولوجيا السعودية الوهابية الى مصر أخذت مساراً مختلفاً الى حد ما عن المسار اللبناني. فمنذ بداية القرن العشرين، كانت هناك نواة سلفية صغيرة في مصر، انتعشت بسيطرة آل سعود على الحكم في الحجاز، وبقي السعوديون يدعمونها مالياً، وكانوا يرسلون اليها الكتب السلفية الوهابية لطباعتها لديهم (في تلك السنين لم تكن في السعودية مطبعة للكتب فكانت تطبع في الهند ومصر بالذات) كما كان السعوديون يمولون بعض المؤسسات الثقافية السلفية هناك. هذه السياسة لاتزال قائمة.

الحكومات المصرية المتعاقبة لا تشعر بارتياح من هذه الجماعة السلفية الوهابية، رغم أنها بدت هادئة طيلة عقود، والسبب هو أن هدوءها أقرب ما يكون قد جاء بقرار سياسي من السعودية نفسها. فلو حدث وان اختلفت السعودية ومصر، فإن الجسد السلفي في مصر قد يدخل المعركة العقدية ضد الحكومة المصرية نفسها. بالطبع فإن المدرسة الوهابية في مصر لاتزال تثير اضطراباً بفتاوى مشايخها وبنزعتها التكفيرية لملايين المصريين (بل لأغلبية المصريين المسلمين، فضلاً عن المسيحيين الأقباط!). وعموماً فإن الوهابية لم تجد لها في مصر ـ كما في لبنان ـ مرتعاً خصباً لأسباب لها علاقة بطبيعة التنوع الثقافي والديني في البلدين، ولحضور الصوفية القوي في مصر، وكذلك لأن النخبة المصرية عامة

بما فيها نخبة الحكم تشعر بقلق بالغ من المحتويات العنفية العقدية للوهابية، والتي ظهرت واضحة بيّنة خاصة بعد أحداث ٩ سبتمبر ٢٠٠١.

الباكستان كما اليمن تقدمان تجربة مختلفة عمّا سبق. هنا تصرّ السعودية على عدم الإكتفاء بالنفوذ السياسي، وترى أن ضمانة ديمومة هذا النفوذ الأخير والمحافظة عليه، لا يكون إلا برفده بتواجد عقدي. لم تجد السعودية في الباكستان ممانعة، فهذه الدولة تأسست عام ١٩٤٧، حين انفصلت عن الهند، واعتبرت نفسها (دولة اسلامية) تطبق الشريعة. الباكستانيون ساسة وجمهوراً، لم يعترضوا على النفوذ السعودي، بل استدعوا السعودية سياسياً واقتصادياً وعقائدياً الى ديارهم. لكن الحال مختلف مع اليمن، ذات الأكثرية الشيعية الزيدية، التي حرصت السعودية على تحويلها، خاصة بعد سقوط دولة الإمامة عام ١٩٦٢، الى مرتع للوهابية، ولاتزال السعودية مصرّة حتى اليوم على (توهيب اليمن)، وترى في الإحيائية الزيدية اليمنية التي يمثلها القادة الحوثيون خطراً على النفوذ السعودي السياسي والعقدي. ولهذا السبب اشتعلت ست حروب بين الحوثيين الزيديين وبين الحكومة اليمنية، كانت كلها بدعم وتأييد بل وتحريض من الرياض، ولغايات عقدية مذهبية وسياسية.

النفوذ السياسي السعودي ـ كما تحكي التجربة ـ يمكن الحدّ منه أو من تطوره الى نفوذ سيء. لكن النفوذ العقدي السعودي عادة ما يؤدي الى كوارث حقيقية، قد تصل الى حدود الحرب الأهلية كما في اليمن والباكستان أو حتى في العراق. في الماضي كان الطابع العام لاستدعاء الأيديولوجيا الوهابية بغرض تمتين النفوذ السياسي السعودي في بلد من البلدان؛ أما في فترة انحطاط النفوذ السياسي السعودي ـ كما هو الحال في الوقت الحاضر ـ فإن استدعاء الوهابية عادة ما يعني التخريب والتدمير وكل مفردات الشرّ. حيث تتحول الوهابية لا كأداة اختراق سياسي، بل كآلة نشر القتل وإراقة الدم.

من الأمثلة: استدعيت الوهابية في العراق لمساعدة الحكومة السعودية، لا بغرض تقوية أو تأسيس نفوذ سياسي لها، بل لتخريب الوضع؛ فكان أن وصلت الأمور الى حدّ الحرب الأهلية، وليصبح محتضنو الوهابية ـ الذين اعتقدوا باستخدامها ضد خصومهم السياسيين ـ ضحاياها ولازالوا.

وقد استدعيت الوهابية في لبنان ـ نهر البارد ـ على قاعدة الخصومة مع حزب الله، وليس على قاعدة تمتين النفوذ السعودي.

واستدعيت مرّة أخرى في غزّة، بدعم من مصر والسعودية مالياً وعسكرياً، حيث قام وهابيون بتأسيس دولة إسلامية في رفح!! واصطدموا عبر السلاح بحماس، فكانت نهايتهم.

ولازالت الحكومة السعودية تستدعي الوهابية في أماكن أخرى، كما في إيران، حيث (جند الله) التي تحظى بدعم سعودي وغربي في حمّى الصراع الإقليمي والدولي ضد إيران. بل أن الأمير بندر بن سلطان هدد بريطانيا في فبراير ٢٠٠٨ علناً باستخدام القاعدة ضد أمنها، كما نشرت ذلك صحيفة الغارديان في حينه.

ملاحظتان أساسيتان يشهدهما المراقب للنفوذ الأيديولوجي الوهابي السعودي:

الأولى ـ إن حضور الأيديولوجية السعودية في بلد ونموّها فيه، مؤشر على أن ذلك البلد لن يتمتع باستقرار، وأنه أقرب الى الصراع بين فئاته الى حد الإحتراب بالسلاح. هذا واضح في كل من اليمن والباكستان. والسبب هو أن الوهابية لا تؤمن بالتعدد ولا تعترف بإسلام أحد، وتكفّر الجميع عدا أتباعها، وهي أداة خروج على الأنظمة بعد أن كانت مطيعة لهم ردحاً من الزمن، وبعد أن كانت مفاتيح هدوئها بيد السعوديين أحياناً، أخذت تتمرد عليهم في بعض الأماكن كما حدث في موجات العنف بين عامي ٢٠٠٢-٢٠٠٨ والتي ضربت عدداً من المدن السعودية بما فيها العاصمة الرياض.

من الصعب أن توجد جماعة وهابية نشطة في بلد ما، دون أن تسبب اضطراباً اجتماعياً (هذا في السابق) وربما عنفاً (كما هو في الحاضر). إن الإستثمار السعودي في نشر الوهابية في الجزائر منذ أواخر السبعينيات الميلادية، كان أحد أهم العوامل وراء القتل و(السبي) و(الغزو) الذي حصد عشرات الألوف من الجزائريين. وإن بلداً منفتحاً مثل المغرب، وبالرغم من صداقة حكامه مع السعوديين، فإن الجماعات السلفية المدعومة من السعودية قد شبّت عن الطوق، وصارت تهدد البلد عنفاً وقتلاً، بحيث يكتشف بين الفينة والأخرى جماعات عنف تتبع القاعدة.

باختصار.. حيثما وجدت الوهابية ونمت، وجد الإضطراب الإجتماعي، والعنف.

الثانية ـ اعتقد الكثيرون أن بإمكانهم استخدام الوهابية ضد خصومهم، أو لبناء مجد لهم، ذلك أن الوهابية في جانب من جوانبها مطيعة للأنظمة التسلطية باعتبارها أنظمة شرعية لا يجوز الخروج عليها إلا أن تأتي بكفر بواح. ولهذا بمقدار ما هي الوهابية مخيفة، فإنها مغرية لأصحاب المطامح، إذ يسهل خداع قادتها، وتضليلهم والتلبيس عليهم، فضلاً عن وجود حطب كثير من أتباعها جاهز للحرب لمن أراد أن يشعل حرباً. إذ ما عليه إلا أن يستفزّ العنصر الوهابي في بعده الطائفي فيحصل على ما يريد.

نصح عبدالله بن جلوي، ابن عم الملك عبدالعزيز، نصح الأخير بأن لا يعتمد الوهابية/ الإخوانية، وشبهها بالنار التي تحرق ما حولها. ولكن اغراءها كان كبيراً، فصار ابن سعود/ عبدالعزيز إماماً لها، واحتل بجنودها معظم مناطق ما يسمى بالسعودية اليوم، ثم لما حقق ما أراد ضربها وشتتها. ولازال ابناؤه يريدون مشروعية الوهابية ويريدون استخدام عناصرها في حروبهم الإقليمية، وإن كانت متطرفة عنيفة وقد تخرج عن السيطرة.

علي عبدالله صالح فعل ذات الأمر. استخدم الوهابية والقاعدة ضد خصومه في الجنوب، ثم ضد خصومه الزيديين في الشمال، ثم انقلبت عليه، فيما يصر الأميركيون عليه بأن يواجه القاعدة بعنف. وتبني مثل هذه السياسة قد لا يخدم حاكم صنعاء، مثلما لم تخدم حكام الباكستان حين توجهوا لمواجهة متطرفي الوهابية في وزيرستان ووادي سوات.

والنموذج الوهابي الثالث الذي انقلب على المعادلة ما جرى في نهر البارد، حيث انقلب السحر على الساحر، وبدل أن تواجه فتح الإسلام حزب الله، بادرت الى مواجهة الدولة اللبنانية فأسقط في يد ممويلها وداعميها (الحريري والسعودية والمخابرات الأردنية).

ومثل ذلك حدث مع السنة العرب في العراق، الذين هم في أكثرهم أحناف، فدخلت الوهابية عليهم واحتضنوا قاعدتها، بغية تحسين وضعهم في الحرب الأهلية واستعادة السلطة، فكانت النتيجة أن أشعلت الوهابية الحرب على الجميع، ثم عادت على السنّة العرب أنفسهم فأمعنت فيه تقتيلاً ـ وفق رؤية الدولة الإسلامية العراقية ـ ولاتزال!




ملك عليل





العليلان الآخران: ولي عهد، ووزير الداخلية!



نايف في قمة أبوظبي

مرض الملك وصراع الأجنحة

يحي مفتي

بدأت التكهّنات تتزايد حول الوضع الصحي للملك عبد الله وموعد عودته الى الديار، في ظل أنباء عن خطورة العملية الجراحية التي خضع لها في مستشفى بريسبيتريان في نيويورك بالولايات المتحدة، وغادر بعدها المستشفى في ٢١ كانون الأول (ديسمبر) الماضي، حيث قرر أن يمضي فترة نقاهة قبل العودة الى المملكة. مصادر إعلامية في نيويورك ذكرت بأن مدّة إقامة الملك عبد الله في نيويورك قد تستمر شهوراً، بناء على نصيحة الأطباء الذين أبلغوا الفريق المحيط بالملك عبد الله بأن ثمة مخاطر على صحة الملك في حال عودته السريعة الى البلاد، وأن احتمالات إصابته بالشلل واردة جداً، بسبب الأورام المنتشرة بين فقرات الظهر الوسطى.

وبانتظار أية تطورات جديدة بشأن صحة الملك، فإن أحاديث وراثة العرش تتزايد، في ظل صراعات خفيّة بين الجناحين الرئيسيين، أي جناح الملك والجناح السديري، والفروع المشتقّة من الأخير (آل سلطان، آل نايف، آل سلمان). قد تكون قرارات الملك العاجلة قبل سفره بأيام قليلة بإقالة الأمير بدر بن عبد العزيز، الإبن العشرين من أبناء الملك عبد العزيز، من منصب نائب رئيس الحرس الوطني، وتعيين إبنه الأمير متعب، الإبن الأكبر للملك، رئيساً للحرس الوطني بمرتبة وزير دولة في مجلس الوزراء، ومدّد فترة خدمة السفير عادل الجبير، المقرّب من الملك، والتمديد أيضاً للمفتي العام للمملكة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ لأربع سنوات أيضاً، مؤشرات لافتة على أن الصراع على السلطة قد دخل مرحلة حرجة.

وفيما تحوم الخلافات حول ولي العهد القادم في حال غياب أحد العليلين (الملك وولي عهده)، في وقت تتعاظم الشكوك حول تولي الأمير نايف، وزير الداخلية والنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، منصب ولاية العهد، بدا من طلب الملك بعودة الأمير سلطان قبل سفره الى نيويورك للعلاج، بأن ثمة خلافاً عميقاً حول قبول ليس الملك وحده بأن يكون الأمير نايف الملك القادم، بل حتى الأمير سلطان، ولي العهد. يضاف الى ذلك ما ظهر في بعض المناسبات من دور للأمير سلمان الذي بدا أكثر قرباً من شقيقه الأمير سلطان طيلة فترة علاجه في الخارج مدة عامين، وحتى فترة النقاهة التي قضاها في مدينة أغادير الساحلية في المغرب. وقيل حينذاك، بأن الأمير سلمان نجح في كسب ثقة شقيقه، ما ظهر في بعض إعلانات التهنئة بعودة الأمير سلطان بصحبة شقيقه الأمير سلمان، والتي نشرت في الصحف السعودية المقرّبة من الأمير سلمان بن عبد العزيز حيث وضعته، وعلى غير العادة المتبّعة، في المرتبة الثالثة بعد الملك والأمير سلطان، أي قبل الأمير نايف، ما فسّر على أن الأمير سلمان عاد مع شقيقه بوعد منه بمنصب ولاية العهد، إن لم يكن وزارة الدفاع التي يعتبرها الأمير سلمان طريقاً آخر الى العرش في المستقبل القريب، خصوصاً مع عجز الأمير خالد بن سلطان على أن يرث مكانة أبيه، فضلاً عن مكانته المخفّضة وسط العائلة المالكة.

وفيما يبدو، بعد سفر الملك وعودة الأمير سلطان، فإن التنافس بين الأجنحة الرئيسية أخذ وتيرة تصاعدية، حيث بدأت عمليات تعزيز المواقع، والتأهب لاستغلال الفرص مع أي طارىء جديد. من وجهة نظر البعض، أن الملك هو من أسس لانتقال السلطة الى الجيل الثالث بعد تعيينه إبنه متعب رئيساً للحرس الوطني خلفاً لوالده، وهي المرة الأولى في تاريخ العائلة المالكة التي يتنازل فيها أحد الشخصيات الكبيرة والقوية عن منصبه لإبنه، وهي خطوة يتوقّع أن يقدم عليها الأمير سلطان والأمير نايف في حال ضمنا انتقال السلطة بسلاسة إليهما، وخصوصاً الأمير نايف الذي لن يتخلى عن منصبه كوزير للداخلية مالم يطمئن إلى حسم منصب ولي العهد.

وبالرغم من أن الأمير نايف ترأس اجتماع مجلس الوزراء أكثر من مرة منذ غياب الملك، كما مثّل المملكة في قمة مجلس التعاون الخليجي، وبعث برسائل متوالية للأميركيين عبر الإعلان عن القبض على شبكات من عناصر القاعدة، واكتشاف مخطّطات لقتل الدبلوماسيين

الأجانب، وتفجير المنشآت الحيوية، واغتيال الاعلاميين والمسؤولين، بأنه الأقدر على ضبط الأمن والحفاظ على المصالح الحيوية للغرب في البلاد، إلا أن الأميركيين أبلغوا الأمير نايف صراحة بأنهم لن يتدخلوا في موضوع التعيين مالم يحظى الأمير نايف على اجماع داخل العائلة المالكة.

تـردّدت في الـفـترة الأخـيـرة أنـبـاء عن غياب أكثر من إسم في العائلة المالكة وبروز آخرين، من بينهم الأمير سعود الفيصل، وزير الخارجية، الذي يعاني من أمراض في الظهر والرقبة، وقد خفّف نشاطه بدرجة كبيرة منذ إجرائه عملية جراحية في العمود الفقري في الـولايـات المتحدة في ١٣ أيـلـول (سبتمبر) ٢٠٠٩، في وقت برز فيه إسم شقيقه الأمير تركي الفيصل كخليفة له في المنصب، إلا أن الطبيعة المحافظة والى حد كبير الكسولة في التغييرات الإدارية تجعل من قرار كهذا مؤجّلاً لأمد غير معلوم.

ولسبب ما قد يكون معروفاً جزئياً، تم طرح إسم الأمير خالد الفيصل، أمير مكة المكرمة، ومالك جريدة (الوطن) التي تصدر في عسير، جنوب السعودية كأحد المرشحين ليس لمنصب

بعد سفر الملك وعودة الأمير سلطان، أخذت وتيرة التنافس بين الأجنحة الرئيسية في آل سعود مسيرة تصاعدية، وبدأت عمليات تعزيز المواقع

وزير الخارجية، بل كملك قادم. وقد أثار سيمون هندرسون بطرحه إسم خالد الفيصل سؤالاً كبيراً عن دافعه وراء ذلك، خصوصاً وان نظام التوارث في العائلة المالكة معروف لكل من لديه خبرة أولية بشؤون الحكم في السعودية، إضافة الى ذلك أن ميزان القوى داخل آل سعود لا يسمح، بأي حال، دخول عنصر من خارج الأجنحة الرئيسية الى حلبة التنافس، ما لم يكن يملك قوة تضاهي قوة جناح الملك أو الجناح السديري بفروعه الرئيسية. يضاف الى ذلك، أن الأمير خالد الفيصل ليس مرشّحاً لأن يكون منافساً لأفراد الجيل الثالث، الذين يتأهّبون لوراثة تركة الجيل الثاني من مناصب وأموال وعقارات ونفوذ وتحالفات. كل ما يملكه الأمير خالد الفيصل هو علاقات خارجية، وسمعة وسط بعض الدوائر الثقافية والادبية والفنية، أما على المستوى المحلي، فليس لديه مكانة في الوسط الديني، ولا في الوسط الإصلاحي..

قد لا تبرز الخلافات داخل العائلة المالكة على السلطة إلى السطح سريعاً، وقد تكون الأوضـــاع السياسية المحلية والإقليمية بالغة التعقيد ما يتطلب المزيد من التكتّم، فالسعودية التي خسرت أكثر من رهان سواء في العراق، حيث كان يأمل الملك عبد الله ألا يرى نوري المالكي في منصبه ثانية كرئيس لـوزراء العراق، وقد حصل ذلك رغم الأمـوال الطائلة التي دفعتها السعودية في الانتخابات التشريعية التي جرت في آذار (مارس) ٢٠١٠ لجهة ترجيح كفة قائمة (العراقية) التي يرأسها الدكتور إياد علاوي. كما خسرت رهان الحرب على إيـران خصوصاً بعد فضيحة وثائق ويكيليكس التي كشفت عن جهود مكثّفة قام بها الملك عبد الله لإقناع الأميركيين بقطع رأس الأفعى، في إشارة إلى إيران، ولا شك أن ذلك قد تسبب في كشف حجم التواطؤ السعودي مع الأميركيين في هذه الحرب في حال اندلاعها ما يعطي مبرراً للإيرانيين بجعل السعودية جزءً من معسكر الأعداء. وثالثاً، خسارة السعودية في لبنان، بالرغم من فـوز حليفها سعد الحريري في الانتخابات وتشكيل الحكومة قبل عامين، وصولاً الى المرحلة الحرجة التي دخل فيها لبنان على خلفية المحكمة الدولية، حيث اضطرت السعودية لأن تنسّق جهود التسوية مع دمشق من أجل انقاذ نفوذها في لبنان قبل أن يدخل الأخير في مرحلة كسر العظم.

محاولات تأجيل أزمة التوارث على العرش السعودي لم تعد ناجعة، فثمة عوامل حاسمة تضغط بشدة على الأطـراف كافة مـن أجل حسم الحصص. لم يعد عامل السن وحده من يملك وصفة الحل النهائي، فقد أصبح مرض الملك وكبار الأمـراء وميزان القوى الداخلية، والمتغيرات الإقليمية والدولية عوامل راجحة في أي منافسة حالية أو مقبلة على العرش.

من رؤية خارجية، يبدو التجاذب منحصراً في فريق الملك عبد الله والفريق الآخر الذي قد يكون الصقور المقرّبون من اليمين المتطرّف في الـولايـات المتحدة مثل سعود الفيصل وبـنـدر بـن سلطان وغيرهـمـا مـن المعنيين بالشؤون الخارجية، وهذا يفسّر تمسّك الملك عبد الله بحصر وظيفة الموفد الخاص في إبنه الأمير عبد العزيز بن عبد الله، ما يشي بأزمة ثقة بين الملك والأمـير سعود الفيصل ووزير الثقافة والإعلام عبد العزيز خوجه، الذي كان يضطلع بـدور موفد الملك في سنوات سابقة قبل أن يكتشف الملك بأن خوجه قد نقل ولاءه الى مكان آخر، وبات مقرّباً من الأمير سعود الفيصل ومن الجناح السديري عموماً.

السعودية مقبلة على متغيرات كبيرة وسريعة، أمر لا ريب فيه، بحكم قانون الطبيعة

ترأس نايف اجتماعات مجلس الوزراء ومثّل المملكة في قمة مجلس التعاون، وبعث بإنجازاته الأمنيّة الى الأميركيين، ولكن لا ضمانات نهائية بوصوله العرش

قبل أي قـوانـين أخـرى سماوية وأرضـيـة، فغياب الكبار عن الحياة السياسية سيكون خبراً متوقّعاً في أية لحظة، تماماً كما هو خبر مرض الأمراء الذي بات شائعاً ودارجاً، وكأنه الحقيقة الواقعية التي لا تثير اهتماماً كبيراً لدى الناس، مالم يصاحبها متغيّر كبير، مرتبط بواقع الناس اليومي.

حدة الصراع على السلطة لاشك قد ارتفعت منذ قرر الملك السفر للخارج، مسبوقة بقرار تعيين إبنه متعب رئيساً للحرس الوطني. وفيما يبدو، فإن قـرارات الملك جاءت بعد ترتيبات مسبقة مع الأمير سلطان، الذي سبقت عودته الى البلاد العفو عن الأمـير بندر بن سلطان الذي عاد هو الآخر الى الديار لمساعدة والده العليل في معركته القادمة مع الأمـير نايف، وأن العودة السريعة للأمير سلطان كشفت عن خطورة الوضع الصحي للملك عبد الله، كما كشفت عن طبيعة الصراع على السلطة، فقد عاد الأمـير سلطان وقبله إبنه بندر الى المملكة للحيلولة دون قـيـام الأمـير نايف بخطوات تفضي الى احتكار السلطة ومصادرة صلاحيات الملك وولي العهد.

وكان للأجنحة الأخرى المشاغبة دور في

صراع الأجنحة الرئيسية، وإذا ما صدق النبأ بأن الأمير طلال بن عبد العزيز هو من أوحى للملك عبد الله باستدعاء الأمير سلطان للعودة الى الديار من أجل تفادي الفراغ السياسي المحتمل وتضييع الفرصة على الأمير نايف لتثبيت نفسه ولياً للعهد الواقعي، فإننا أمام معركة خلافة حامية في المرحلة المقبلة.

كل ما يقال عن دور منفرد للملك في نقل السلطة الى جيل الأحفاد، أو الجيل الثالث هو كلام أقرب الى التخرّص منه الى الحقيقة، ببساطة لأن الملك لا يملك وحده السلطة النهائية والمطلقة في صنع القرار السياسي في هذا البلد، فهناك أمراء كبار يملكون قدراً موازياً أو دون ذلك بقليل في ملفات كبرى بما فيها ملف التعيينات. إن القول بتواصل مسلسل التعيينات عقب تعيين الأمير متعب بن عبد الله وعلى يد الملك نفسه بحيث يصبح خالد الفيصل نائباً ثانياً لرئيس الوزراء، مكان نايف، ، وخالد بن سلطان وزيراً للدفاع، ومحمد بن نايف وزيراً للداخلية، وتركي الفيصل وزيراً للخارجية، وبندر بن سلطان رئيساً للاستخبارات، لا يصمد سوى في حالة واحدة: موافقة الأمراء الكبار.

الملك عبد الله الذي يدرك تماماً ما واجهه خلال مرض الملك فهد الذي دام منذ العام ١٩٩٦ ـ ٢٠٠٥، ولم يسمح الجناح السديري وعلى رأسهم الأمير نايف بنقل السلطة بصورة طبيعية الى ولي عهده، عبد الله، حينذاك، على أساس فقدان الملك فهد لأهلية القيام بمهام الحكم، يجد الآن الفرصة المناسبة كيما (ينتقم) من الأمير نايف، بحيث يستدرج أقرب الناس منه وهو شقيقه الأمير سلطان كيما يلعب الدور ذاته الذي كان يلعبه ضده في عهد الملك فهد، فيكون حرمان نايف من العرش على يد شقيقه، ولذلك قيل بأن هناك من حرّض أبناء الأمير سلطان على الحضور الكثيف في هذه المرحلة لتقويض كل محاولات الأمير نايف بجمع خيوط السلطة بيده. قد يكون الملك عبد الله الأقدر على فهم تفاصيل لعبة السلطة، فقد كان هو ذاته أحد ضحاياها، حين كان ولياً للعهد، ولم يكن قادراً على ممارسة السلطة بحجة أن الملك فهد مازال على قيد الحياة، ولن يرثه أحد في حياته، وأن القرارات يجب أن تتم بالتشاور مع الأمراء الآخرين، وخصوصاً سلطان ونايف وسلمان.

لا يتوهمنّ أحد بأن ثمة تبدّلاً في التحالفات داخل العائلة المالكة، بحيث أصبح الملك وسلطان في معسكر واحد في مقابل نايف، بل الصحيح أن هناك مصالح محددة مشتركة إقتضت أن يلتقي الملك وولي العهد في موقف ما لمواجهة الأمير نايف، وقد يتطلب الأمر في لحظة أخرى مواجهة بين عبد الله وسلطان، بحسب طبيعة المصلحة، وشروط النجاح في لعبة السلطة، وقد كشفت إحدى وثائق ويكيلكيس أن الملك عبد الله كان على وشك إقالة الأمير خالد بن سلطان من منصبه لفشله الذريع في الحرب على الحوثيين.

خريجون عاطلون يعتصمون في الرياض

أمام وزارة التربية والتعليم وسط الرياض، اعتصم عدد من خريجي الجامعات عن العمل احتجاجاً على عدم حصولهم على وظائف رغم مضي سنوات طويلة انتظروها، وطالبوا بإيجاد وظائف سريعة لهم. حدث ذلك في ٢٠١١/١/٩ الماضي، في حادثة باتت تكرر بسبب تصاعد أرقام العاطلين عن العمل من خريجي الجامعات.

وحسب شهود عيان، فإن قوات الأمن قامت بتفريق حوالي ٢٠٠ خريج جامعي جاؤوا من مختلف محافظات السعودية تجمّعوا خارج الوزارة احتجاجا على عدم توافر فرص عمل لهم. ومع أن عدد المحتجين ضئيل، لكنه في بلد مثل السعودية تمنع الإحتجاجات والتجمعات، يحمل معنى خاصاً، بل ويحمل تحذيرات من احتمال أن تؤدي الضائقة الإقتصادية بمجاميع الشباب الى إحداث توترات أمنية وسياسية، فضلاً عما تؤديه الآن فعلاً من زيادة في الإحباطات وتصاعد الجريمة.

وكان المعتصمون ينوون الإقامة أمام بوابة وزارة التربية لمدة طويلة، في احتجاج يأخذ مدى زمنياً أوسع ويحمل رسالة مستمرة.. إلا أن الأمن قام بتفريقهم من دون حدوث أي مواجهات، في حين أكد بعضهم عزمه على معاودة الإحتجاج والإعتصام. وحسب الصحافة فإن أحدهم قال: (سنأتي إلى هنا حتى يتم توظيفنا، حيث إننا تخرجنا من الجامعة منذ عشر سنوات، وليست لنا أي وظيفة أخرى غير التدريس في مدارس المملكة).

تجدر الإشارة الى أن نسبة الفقر تصاعدت في السعودية في السنوات الأخيرة، رغم تزايد المداخيل النفطية. وفي ٢٠٠٣ قدرت لجنة مكافحة الفقر التي أمر الملك عبدالله (كان حينها ولياً للعهد) بتشكيلها.. قدرت عدد السعوديين الذين يعيشون تحت خط الفقر بنحو ٣٠٪ من عدد السكان، وقال رئيس اللجنة بأن السعودية بحاجة الى عشرين عاماً للتغلّب على داء الفقر.

وتلعب البطالة المرتفعة بين الشباب دوراً هاماً في توتير الأوضاع الإجتماعية. وقدرت مصادر غير رسمية نسبتها بين الإناث بنحو ٦٨٪، وبين الذكور بما يزيد على ٢٥٪.. في حين أن مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات تقول بأن نسبة البطالة تزيد قليلاً عن ١٠٪ فحسب.

وتنظر العائلة المالكة بقلق الى إمكانية



اعتصام سابق امام وزارة التربية (يوليو ٢٠١٠)

تصاعد الأحداث المحلية، وإمكانية وقوع أحداث أمنية على خلفيات إقتصادية مثلما يجري حالياً في تونس والجزائر.. لذا بادر الرجل القوي في المؤسسة الحاكمة، الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية الى مطالبة القطاعات الحكومية والخاصة بإيجاد أعمال للشباب قائلاً: (من المستحيل سواء في المملكة أو في جميع دول العالم أن توظف الحكومة كل الشباب، ولكن يجب أن تشغل الوظائف في القطاعات الحكومية والخاصة بالمواطنين).. في حين أعلن وزير الإسكان الأمير منصور بن متعب بأن العائلة الحاكمة أعادت العمل بنظام توزيع الأراضي على ذوي الدخل المحدود. وقد فهم من تلك التصريحات أنها مجرد محاولة لتهدئة الأوضاع خشية وقوع الأسوء، وخشية أن تشجع الأحداث في بلدان أخرى السعوديين على القيام بأعمال مشابهة.



الشريان والركابي.. دفاع مفتعل عن الوهابية

لا تضيعوا وقتكم..

لإنصافها: إنها وهّابية وستبقى كذلك

محمد فلالي

تـولى الإعـلامـي دواد الـشريـان إدارة موقع (العربية نت) فـأراد تغيير الشكل والمضمون، في سياق تصحيح الخطأ الذي كاد أن يطيح مدير قناة (العربية) عبد الرحمن الراشد على خلفية بث القناة برنامجاً غربياً وجّه فيه باحث غربي نقداً للوهـابية. في ٢٩ أكتوبر الماضي فتح الموقع حلقة نقاش حول الوهـابية في السعودية، واستضاف أكاديميين ومثقفين سعوديين مقرّبين من الحكومة وبعضهم له حضور إعلامي وخصوصاً في الصحف المقرّبة من جناح الأمير سلمان، وجاءت التوقعات متطابقة مع آراء الضيوف، الذين أجمعوا عن سابق إتفاق على أنه لا يوجد شيء إسمه وهـابية، وإنما هو الاسلام الصحيح، الذي عبّرت عنه الوهـابية لجهة العودة بالمسلمين الى المصادر النقيّة للإسلام.

خـرج الشريـان بشهادة حسن سلوك إداري من حلقة الدفاع عن الوهـابية، وخـرج الضيوف من معركة من طرف واحد ضد الذين شهروا النعت التوصيمي (الوهـابية)، وتوصّلوا الى ما يشبه إتفاق قد دبّر قبل بث الحلقة بيوم أو بعض يوم، على أن ينال فيه من الأطـراف التي استعملت (الوهـابية) مـادة توصيم لأتباعها، مثل الـدولـة العثمانية والمستشرقين، الـذيـن صنعوا صـورة سلبية عن (الوهـابية)، وتحوير معناهـا، ولا ندري ما هو المعنى الـذي يمكن أن تنتجه الوهابية كنظام عقدي، أو جماعة دينية اصطفائية ترى في نفسها خصائص (الفرقة الناجية) أو (الطائفة المنصورة)، الأمر الذي دفعها لأقتراف أفدح الأخطاء إزاء خصومها الحقيقيين والافتراضيين. وفي حقيقة الأمـر، أن (الوهـابية) كانت تميل الى صنع خصومها من أجل ضمان وجودها واستمرارها.

مـا يلزم إلـفـات الإنـتـبـاه إلـيـه، أن البرنامج بصيغته الدفاعية يأتي في سياق محاولة الأمير سلمان بن عبد العزيز، أمير الرياض، لوقف استعمال (الوهـابية) بعد أن ظهر بـأن المـراد بها الحط من شأن أتباعها، وقد حـاول بعض علماء الوهـابية عبر سلسلة تعقيبات واستدراكات على مقال الأمير سلمان الدخول في المرافعة الفكرية والسياسية عن (الوهـابية)، ولكن جاءت النتائج ضئيلة الشأن، لأن المصطلح كما أشياء كثيرة في الحياة ليست ملكاً لأحد، ولا يمكن فرض مدّة صلاحيتها، فقد تموت مع الزمن بعد انتهاء شروط وجودها، وقد تعيش فترة أطول مع عوامل تخصيب داخلية أو خارجية، وفي حال الصراع بين المذاهب تنتعش سوق المصطلحات ذات الطبيعة الازدرائية. وقد تكون (الوهـابية) من بين باقي المذاهب في المجال الإسلامي التي أحيت مصطلحات كـادت تفنى، ولكنها بقيت كمكوّنات جوهرية في ثقافة الخصومة والصراع الطائفي.

ظهور (الوهـابية) مصطلحاً وجماعة ومدرسة فكرية في الـدولـة السعودية الأولى في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، أثـار انتباه أطراف عديدة قريبة وبعيدة، والتصق مصطلح الوهـابية بجماعة محدّدة إنتسبت الى طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهـاب عقيدة وفقهاً وسلوكاً متطرفاً، وقررت أن تملك مبادرة الحرب على الآخر، دون سابق إنذار من أجل تغيير معادلة قائمة وإقامة معادلة جديدة تكون هي محورها. في حقيقة الأمر، أن إطلاق تسمية (الوهـابية) لم يكن يثير حساسية لدى أتباعها، ولربما تفاخر بعضهم بهذه التسمية، ولكن المتأخرين نظروا إليها على أنـهـا محـاولـة تشوية لصورة الدعوة الوهـابية لدى السعوديين، ثم جاءت هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ لترفع من مستوى الحساسية لـدى العائلة المالكة، خصوصاً بعد أن أظهرت التحقيقات الأميركية ضلوع ١٥ سعودياً من أصل ١٩ عنصراً كانوا على متن الطائرات الانتحارية التي ضربت برجي نيويورك والبنتاغون.

تنبّه آل سعود الى أن القضية لا تقتصر على تهمة الضلوع في هجوم انتحاري بل أن النوايا تتجه الى تجريد النظام السعودي من مشروعيته الدينية التي يستمدها من (الوهـابية)، فكان يخشى تقويض الأسس الأيديولوجية للدولة بما يـؤول الى فقدان الأخيرة لنظام المناعة إزاء النقد.

من وجهة نظر أمين عام دارة الملك عبدالعزيز الدكتور فهد السماري، فإن التسمية (أي الوهـابية) تقف خلفها الدولة العثمانية التي أطلقت المصطلح عبر عدد من كتابها، وهذا صحيح، بل عبأت مطبعة

خاصة في استانبول كل طاقاتها لنشر منظومة كتيبات ضد الوهابية كرد فعل على الفتاوى التكفيرية التي أصدرها علماء الوهابية ضد الدولة العثمانية.

وقد كتب عبد القديم زلّوم في (كيف هدمت الخلافة ـ الطبعة الثالثة ١٩٩٠ ص ٨)، (كانت انجلترا قد حاولت عن طريق عميلها عبد العزيز بن محمد بن سعود ضرب الدولة الاسلامية من الداخل، وكان قد وجد للوهابيين كيان داخل الدولة الاسلامية بزعامة محمد بن سعود، ثم إبنه عبد العزيز فأمدتهم إنجلترا بالسلاح والمال، واندفعوا على أساس مذهبي للإستيلاء على البلاد الاسلامية الخاضعة لسلطان الخلافة، أي رفعوا السيف في وجه الخليفة، وقاتلوا الجيش الإسلامي جيش أمير المؤمنين بتحريض من الإنجليز وإمداد منهم. وذلك لأخذ البلاد من الخليفة وحكمها حسب مذهبهم..).وفي (ص ١١) يقول زلوم: وكانت عمولة آل سعود للإنجليز وولاؤهم لهم أمراً معروفاً لدى دولة الخلافة ولدى الدول الأخرى كالمانيا وفرنسا وروسيا، وكان معروفاً أنهم يسيرون من قبل الانجليز، وكان الانجليز أنفسهم لا يخفون وقوفهم إلى جانب السعوديين دولياً..ولهذا فإن الدول الأوروبية ولا سيما فرنسا كانت ضد حملة الوهابيين هذه باعتبارها حملة انجليزية).

من طريف ردود الوهابيين، ما جاء في كتاب الدكتور صالح العبود بعنوان (عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، الجزء الأول ص ٢٧)، يبرىء فيه ساحة الوهابية كون

الوهابية تميل الى صنع خصومها من أجل استمرار وجودها، وهي لم تنتج معنى بل اقترفت أفدح الأخطاء إزاء خصومها الحقيقيين أو الإفتراضيين

نجد لم تكن خاضعة لسيادة الدولة العثمانية، (فما امتد إليها سلطانها ولا أتى إليها ولاة عثمانيون ولا جابت خلال ديارها حامية تركية في الزمان الذي سبق ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب..). والصحيح، أن الوهابية هي من امتد سلطانها الى ولايات الدولة العثمانية من الإحساء الى بلاد الشام مروراً بالعراق، وكان ذلك انتهاكاً صارخاً لحق الخلافة العثمانية، وطاعة ولاة الأمر حينذاك. فقد حرّكت الوهابية أنصارها الغزاة الى هذه المناطق وقتلت ونهبت ودمّرت دون رعاية لولاية السلطان العثماني عليها، ولا حرمة لدماء المسلمين المؤتمنين على أرواحهم وأموالهم.

إن تبرير علماء الوهابية مثل ابن عثيمين وابن باز بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يخرج على دولة الخلافة العثمانية بحجة واهية مفادها (لم يكن في نجد رئاسة ولا إمارة للأتراك) وأنه (إنما خرج على أوضاع فاسدة في بلده) فهل كانت مناطق الإحساء والعراق وبلاد الشام والحجاز تقع في منطقة نجد أم كانت تحت السيادة العثمانية حينما انطلقت جيوش الوهابية تعيث الدمار والفساد في هذه المناطق؟!

بل كان تصرّف الوهابيين مع الحجيج الوافدين الى بيت الله الحرام، وكان الحجاز حينذاك تحت السيادة العثمانية، يستبطن خروجاً على السلطان العثماني وتمرّداً على النظام العام، بحجة تصحيح معتقدات الناس، وإرشادهم الى الطريق السويّ في العبادة الخالصة لله وحده، وكأن الله عزّ وجل قد فوّض إليهم فعل ذلك، وإن أدى ذلك إلى انتهاك الحرمات، وسفك الدماء، وإشاعة الفوضى.

أما الدكتور عبد العزيز السعيد رئيس الجمعية العلمية للسنّة، فقال بأن (المصطلح أطلق بغرض اللبس واللمز من الدعوة المجددة)، ولا يظنّن أحدٌ قرأ تراث المرحلة التي برزت فيها الوهابية، وكأنها حركة عصيان إجتماعي، لم توفّر أحداً من نعوتها الحادة، وأخرجت خلقاً كثيراً من دين الله تحت عناوين البدعة، والشرك، فجوّزت لنفسها مقاتلة المسلمين ومصادرة أملاكهم واحتلال أراضيهم، وقد شهد على ذلك ما فعلوه في الحجاز في تربة الطائف، وفي الديار المقدّسة من قتل ونهب وهدم، وفعلوا مثل ذلك في العراق وبلاد الشام، فهل يتوقّع السعيد من الضحايا أن تبارك الدعوة الدموية، وأن تنظم قصائد المديح، وتتلو آيات الحمد والشكر بظهورها وقد كان الدمار دليلاً عليها.

الكاتب زين العابدين الركابي، يرى بأن إطلاق مصطلح (الوهابية) انطلق من أهداف سياسية تقصّدت النظام السياسي السعودي وقتها، وذاك صحيح لو أن أتباعها كانوا ينبذون المصطلح، بل كان المؤرخون يستعملونه للتمييز بين أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباع المذاهب الاسلامية الأخرى، خصوصاً بعد أن امتازت الوهابية بتكفير أغلب المسلمين، أما إسقاط النظام السياسي السعودي، فلا نعلم ربطاً بين استعمال مصطلح (الوهابية) وخطة إسقاط النظام السعودي، ما لم يكن ثمة إسقاط متأخر يجعل هذا الربط ممكناً. نعم، قد تكون الميول الاستئصالية لدى أنصار الوهابية قد دفعت كثيرين إما لتمني أو للعمل على زوال النظام السعودي باعتبار زواله سيؤدي الى نهاية الوهابية، ولكن ذلك لم يكن على سبيل القصد الأولي، بل القصد الثانوي، وإلا فإن الهدف النهائي هو زوال الوهابية.

الركابي أضاف الى ما سبق من ردود كلاماً دفاعياً مفتعلاً، حين اعتبر استعمال مصطلح (الوهابية) خطأً فاحشاً (ناتج عن الدعاية الكاذبة)، كيف؟ لأن المخالفين (من هم؟!) (وصفوا الدعوة بخروجها على المذاهب الأربعة)، ألم تكن كتابات الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد كشفت عن ذلك، وما ذكره أبناؤه من بعده دليل على ذلك، حين قالوا بأن كتب فلان وفلان (في المذهب الحنبلي) عندنا من أصح الكتب؟ وأن من لم يكن على طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه فليس له حظ من الدين، كما جاء في (كتاب الدرر السنيّة). فلم يكن هناك من قال زيفاً أو نفخ دعاية كاذبة في شبّاك الوهابية، بل على العكس من ذلك، فإنه طيلة القرنين الماضيين كانت الوهابية هي من تشنّ الغارات قولاً وعملاً ضد الآخر، المسلم دائماً، وهي كانت تشيع أجواء الكراهية الدينية وتشحن النفوس بين أتباع المذاهب الاسلامية لغرض إشعال الفتن الطائفية، وكان الجميع يلوذ إما بالصمت رجاء انطفاء

تنبّه آل سعود الى أن الهجوم على (الوهابية) يتجه الى تجريد مشروعيتهم الدينية، فتحرّكوا للدفاع عنها لتحصين الأسس الأيديولوجية لدولتهم

الغريزة الطائفية لدى الوهابية حين لا تجد من يستجيب لجنوحها، بل كانت الوهابية تحظى بكل فرص الانتشار الكوني، وهذا ما تنبّه الى خطره حتى الغربيين الذين فتحوا الأبواب للوهابية حين كانوا يريدونها سلاحاً في وجه الإسلام التنويري والثوري، وأن ما وصفه الركابي بالحملة على الوهابية إنما جاء بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، أي بعد أن وجّهت الوهابية سهامها لحلفاء الأمس.

الدكتور ناصر التويم، رئيس قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كان دقيقاً في تحليله حين اعتبر القصد من استخدام التسمية هو الازدراء. ولكن حدث ذلك في أزمنة احتدام الصراع الداخلي، أي حين تخوض الوهابية صراعاً مع المذاهب الاسلامية الأخرى، وتشنّ حملة تكفير ضدها، حيث تنطلق حملة التوصيم المتبادل فتكون الوهابية لفظة إزدراء في وعي الآخر.

أما استعمال المستشرقين لمصطلح الوهابية، فلم يكن الغرض منه الإزدراء، بل كما أسلفنا لوجود سمات وخصائص محددة تجعل هذا الخط (أي الوهابية) في المجال الإسلامي مستقلاً بذاته، وهي أعانت على ذلك حين تعاملت مع كل المذاهب والفرق الإسلامية على أنها منحرفة العقيدة ولابد من تصحيحها، ولذلك أعلنت تكفير المجتمعات ثم الانفصال عنها، وأخيراً إعلان الجهاد عليها، فهل بعد ذلك يأتي من يقول أن الوهابية من صنع الآخر، أم هي صناعة يدوية محلية لقيت دعماً أجنبياً، إنجليزياً على وجه الخصوص فأصابت خيراً لنفسها وألحقت بالأمة شروراً لا قبل لها بها.

انتعاش بورصة الفتن في لبنان

السعودية تتراجع وتفشل تسوية (س. س)

هيثم الخياط

تسوية أو لا تسوية، إحجية بقي اللبنانيون يلحّون في الجدل حولها منذ ثلاثة شهور على الأقل، حين خلص فريق الملك عبد الله الى نتيجة مفادها أن صدور القرار الإتهامي بالصيغة التي تقرّرت في دوائر أميركية ـ اسرائيلية وعربية معتدلة سيعني أن النفوذ السعودي في لبنان قد يصبح فعلاً ماضياً، وأن المستهدفين (سورية وحزب الله والمعارضة اللبنانية بصورة عامة) متأهبون لخوض التحدي حتى نهايته..لم يدم الردح طويلاً، فقد وضع الأميركيون حداً نهائياً لحديث الـ (س.س)، ولجمت إمـرأة الخارجية الأميركية رجل الدولة والزعيم الوهمي الملك عبد الله، الذي أشبع رؤوساء دول عربية سبّاً بإسم الوعود والتعهّدات (وكلام الرجال)، فلحس كل وعوده للرئيس بشار الأسد بعد جلسة واحدة مع هيلاري كلينتون التي أبلغته قراراً واضحاً، بأن يسحب يده من يد بشار الأسد. لم ينتظر الملك عبد الله، الزعيم الوهمي، حتى الصباح كيما يبلغ الأسد قراره الإنهزامي، وسحب تعهدّاته، فقد أيقظ القيادة السورية في منتصف الليل ليبلغها قراره المشين بأن التسوية انتهت الى لا شيء، وحتى لا يخرج بسواد الوجه، أبقى الباب مفتوحاً في العلاقة الوديّة بين دمشق والرياض.

كـان واضـحـاً منذ البـدايـة، أن ثمة في السعودية من يلعب بالأوراق جميعاً، فمن جهة كـان يواصل الملك عبد الله وفريقه وموفده الشخصي نجله الأمـير عبد العزيز بن عبد الله جهود (التسوية) الزعومة مع سورية لاحتواء تداعيات القرار الظني، الذي بات الجميع موالاة ومعارضة وداخل وخـارج، وعربي وأعجمي، على قناعة تامة بأنه يتجّه في هذه المرحلة على الأقل نحو حزب الله. ومن جهة ثانية، كان فريق الفتن الممثل في الأمير بندر بن سلطان والأمـير مقرن بن عبد العزيز والأمـير سعود الفيصل يحضّر نفسه لمواجهات مفتوحة، تكون فيها الفتنة الطائفية السنيّة الشيعية عنواناً أبرز لها. وليس بعيداً أن تكون (كتائب عبد الله عزّام) التي أعلنت عن نفسها مجدداً من شمال لبنان، بقيادة سعودية (صالح عبد الله القرعاوي) ومقاتلين من جنسيات عربية مختلفة يمثّل فيها العنصر السعودي قوة وازنة، قد جرى تجهيزها سعودياً لمرحلة الاشتباك الداخلي. ولربما كان من بين أهداف عودة الأمير بندر بن سلطان الى الديار التحضير لفتنة في لبنان مع صدور القرار الظني.

على أيـة حـال، وقبل إصـدار المحكمة الدولية الخاصة بلبنان قرارها الإتهامي، جاء الاعـلان عن فشل التسوية السعودية السورية من الجانب السعودي وبغطاء أميركي وبطفولية غير مسؤولة من جانب رئيس الحكومة اللبنانية غير الرشيد سعد الحريري. اختلفت الروايات، وتباينت التوقّعات والتطلّعات حـول طبيعة التسوية، وما إذا كانت بمستوى تعطيل مفاعيل المحكمة الدولية، أو قرارها الإتهامي، أو أن ثمة صفقة شاملة يراد لها أن تتم تستهدف حفظ نفوذ السعودية وحلفائها في لبنان في مقابل احتواء مخطط المحكمة، ولكن كل التكهنات حسمت مساء العاشرة من (كانون الثاني) يناير، حين أعلنت كل الأطـراف تقريباً نعي مبادرة س.س.

> **كان واضحاً منذ البداية، وجود فريقين في السعودية: أحدهما يلعب في مربع (س. س)، وثانيهما يجهّز لـ (الفتنة).. وقد نجح صنّاع الفتن في وأد التسوية**

في حقيقة الأمر، أن كثيرين وضعوا أيديهم على قلوبهم مع نهاية العام ٢٠١٠، حين أعلن عن مرض الملك عبد الله وسفره للعلاج والذي أسس لقطيعة بين السينين، وبطبيعة الحال ليس وحده السبب في الفشل، وإنمـا لدخول العامل الأميركي الذي كان يترقّب، بصورة سلبية، لما يدور بين عبد الله وبشّار. على العكس، تحدّث مسؤول أميركي الى صحيفة (الحياة) في ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) الماضي عن صعوبة التسوية المعنونة (س.س)، ونفى معرفة بلاده أو اطلاعها على تفاصيل تلك التسوية، فيما فهم مراقبون تحرّك مساعد نائب وزيرة الخارجية الأميركية لشؤون الشرق الأدنى، السفير سابقاً لدى لبنان جيفري فيلتمان، رفض الإدارة الأميركية قيام تسوية على حساب المحكمة الدولية. الأبلغ، ربما، في رسائل الأميركيين الى حلفائهم في لبنان والمنطقة أن التسوية على حساب المحكمة الدولية قد تفضي الى إتهام العقيد وسام الحسن، رئيس فرع المعلومات والذراع اليمنى لرئيس الحكومة سعد الحريري، في جريمة اغتيال الرئيس الحريري، وقد يفتح ملف آخر مواز عن تعاون الحسن مع منظّمات أصولية وهابيّة، سعودية تولّت تنفيذ الجريمة.



فشل الوساطة السورية السعودية لحل أزمة المحكمة الدولية

تصويب أميركي آخر على تسوية (س.س) جـاء من السفير الأمـيركي السابق لدى الأمم المتحدة جون بولتون، أحد أبرز صقور اليمين المتشدد في عهد الرئيس الأمـيركي السابق جورج بوش، حيث كتب مقالاً نشر في صحيفة (الحياة) في ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) الماضي، وكشف بـأن مدعي عـام المحكمة الدولية في

اغتيال رئيس الحكومة الأسبق رفيق الحريري، القاضي دانيال بيلمار (سيبدأ قريباً بإصدار القرارات الاتهامية ضد الأشخاص الذين اغتالوا الحريري، وبات شبه مؤكد ذكر أسماء مسؤولين سوريين بارزين وآخرين تابعين لحزب الله). وزاد بولتون بأن تحدّث في تداعيات القرار الإتهامي حيث تنبأ بتجدد الحرب بين إسرائيل وحزب الله واحتمال أن تشمل سوريا.

أشارت المقالة لغطاً واسعاً ليس وسط المعارضة اللبنانية أو حتى المشكّكين في نزاهة المحكمة الدولية، بل أثارت اليمين اللبناني نفسه، ما دفع برئيس الحكومة اللبنانية السابق فؤاد السنيورة لإصدار بيان إنتقد فيه كلام بولتون وقال بأنه يدق إسفيناً ولا يمكن السكوت عنه وأنه يخدم الجانب الإسرائيلي، وكأن السنيورة أراد التعاطي بحذر مع عامل الزمن كيما لا تفشل مهمة الفريق الرافض لأي تسوية على حساب المحكمة الدولية ذات الأهداف المعروفة.

الحريري قبل أن يسافر الى نيويورك، أجرى مقابلة مفاجئة مع (الحياة) وقال بأن (إن التفاهم السعودي - السوري في شأن تثبيت الاستقرار في لبنان أنجز قبل أشهر عدة، وقبل انتقال الملك عبد الله للعلاج). ولكنه قال بأن ثمة خطوات مطلوبة من المعارضة، ولربما يقصد حزب الله وسوريا، واشترط (أي التزام من جانبي لن يوضع موضع التنفيذ قبل أن ينفذ الطرف الآخر ما التزم به، هذه هي القاعدة الأساس في الجهود السعودية ـ السورية). كما حدّد هدف الزيارة الى نيويورك بأنها لمقابلة الملك عبد الله (والبحث في دفع الجهود قدماً وحماية المسار السعودي - السوري الذي يشكل ضمانة لاستقرار لبنان).

في رد سوري على كلام الحريري، نقلت (السفير) اللبنانية عن (زوّار دمشق) قولهم بأن (لا صحة على الاطلاق لوجود التزامات سورية مسبقة من أي نوع حيال الرئيس الحريري)، بل على العكس (هو المطالَب بمبادرة جريئة، تحت سقف التسوية السورية - السعودية..بحيث تواكب المعارضة الحريري في خطوات موازية، تقود في نهاية المطاف الى «تصفيح» الساحة اللبنانية في مواجهة القرار الاتهامي والمحكمة الدولية).

رئيس الحكومة اللبنانية سعد الحريري الذي كان على اطلاع تام بحقيقة الموقف الأميركي وطبيعة التنسيق بين يمينيي أميركا والسعودية مرّر خدعة قبل سفره الى نيويورك حين كشف الغطاء، جزئياً على الأقل، عن حقيقة الإتفاق السوري السعودي، ولكن ما إن وصل نيويورك حتى بدا الأمر مختلفاً، فقد وصل ليس للقاء الملك عبد الله وتلقي التعليمات حول ما يجب تنفيذه، بل ذهب الى هناك وقد سبقه صقور الفتنة (الأمير بندر والأمير مقرن) وحضور فيلتمان وبولتون وغيرهما الذين تحضّروا لقلب صورة الملك عبد الله.

لايتوهمن أحد بأن ماقامت به الإدارة الأميركية ممثلة في هيلاري وفيلتمان وغيرهما من أجل عيون عائلة الحريري أو رغبة في العدالة والحقيقة، فواشنطن لا تكترث لـ (الحقيقة) في لبنان، وهي على جهوزية كاملة لأن تعقد صفقة شاملة مع سورية وإيران، وأن رفضها لتسوية (س.س) عائد بدرجة أساسية الى أن الجانب الأميركي ليس طرفاً فيها، ولذلك واصلت ضغوطاتها لإرغام السوريين وحزب الله وايران على تقديم تنازلات محددة. قد يكون إطلاق واشنطن يد الاسرائيليين في ملف الاستيطان ثمناً مقدّماً لها للكف عن المطالب بحصة في المحكمة الدولية، على أن تتفرّغ واشنطن للتجاذب مع ايران في موضوع الملف النووي.

كانت زيارة هيلاري كلينتون في ١٠ كانون الثاني (يناير) الى منطقة الخليج لدفع دول مجلس التعاون نحو تشديد العقوبات الاقتصادية على ايران من جهة، وحشد المساندة الدولية خلف المحكمة الدولية، ودفع هذه الدول على إعادة فتح سفاراتها في بغداد بعد تشكيل الحكومة، وقد جاءت هذه الزيارة بعد لقاء كلينتون بالملك عبد الله ورئيس الحكومة اللبنانية سعد الحريري، في نيويورك والذي أدّى الى تبدّل لهجة الأخير وتشدّده في موضوع الاتفاق السعودي السوري، وظهر فيما بعد أن هيلاري لم تغادر بلادها الا بعد أن إطمأنت الى فشل واغلاق ملف (س.س).

أثبت الملك عبد الله بأنه ليس على قدر وعوده، فقد عاب على الآخرين تنصّلهم من العهود ولكنه خضع لكلينتون في جلسة واحدة ونكث بالتسوية

قد تكون تصريحات مرشد الثورة الاسلامية في ايران السيد علي الخامنئي عن المحكمة إشارة على أن الايرانيين باتوا على قناعة بأن الأميركيين مصرّون على إفشال أية تسوية من أي طرف كان مالم يكن لهم حصة وازنة، تعينهم على استعمالها كقوة ضغط في مفاوضاتهم مع ايران في الملف النووي الإيراني. نتذكر، أن جولة مفاوضات جديدة بين إيران ودول ٥+١ قد تقررت في أسطانبول في الأسبوع الأخير من هذا الشهر (يناير)، ما يجعل تحرّك كلينتون في المنطقة لتكثيف الضغوطات على إيران من أجل سحب تنازلات منها بشأن ملفها النووي، إضافة الى ملفات أخرى من بينها، بطبيعة الحال، ملف حزب الله وتسليحه.

بدا واضحاً، أن الدبلوماسية الأميركية التي كانت ترقب تحركات دمشق والرياض على خط الأزمة اللبنانية، وضعت حداً لحيادها السلبي، ودخلت بقوة كعامل حاسم في الموضوع اللبناني، حيث اجتمعت مع الملك عبد الله في فندق بلازا بنيويورك، ثم مع رئيس الحكومة سعد الحريري بحضور جيفري فيلتمان. كما التقى الحريري مع ساركوزي الذي التقى هو الآخر بالرئيس الأميركي باراك أوباما والملك عبد الله لمعرفة ما يجب القيام به بعد فشل التسوية السورية السعودية، خصوصاً وأن ساركوزي بدا كما لو أنه أقرب الى العقل السوري في تسوية ملف المحكمة الدولية سلمياً من أجل تجنيب لبنان أزمة قد تضرّ بمصالح قوى محددة، وخصوصاً الفرنسيين الذين يشاركون بقوة كبيرة في وحدات اليونيفيل.

وفيما نسجت الشكوك خيوطاً حول مصير المسعى السوري السعودي مع دخول العامل الأميركي على خط المفاوضات حول ملف المحكمة الدولية، فإن التصريحات الأميركية قبل يومين من إعلان فشل التسوية السورية السعودية كانت كافية لإعلان التعبئة في صفوف المعارضة اللبنانية، خصوصاً حين تكون التوقّعات تحوم حول استعداد أميركي لـ (جولة مقبلة من الأحداث) ذات العلاقة بالمحكمة الخاصة بلبنان، أو رفض الجانب الاميركي لأي تسوية على حساب المحكمة. واذا وضعت هذه التصريحات مع ما ذكرته (إيلاف) المقرّبة من الخط اليميني المتشدّد في السعودية في ٩ كانون الثاني (يناير) الجاري من أن السعودية ليس في وارد (إعاقة أي قرار دولي تم إبرامه مالم ينقضه قرار آخر ومن ذات الجهة التي أصدرته) في إشارة الى قرار مجلس الأمن الدولي بتشكيل المحكمة الدولية الخاصة بلبنان، فإن ذلك يعني أن ثمة فريقاً سعودياً قوياً عمل على تخريب إتفاق (س.س) إن لم يكن عكس تبدّلاً في موقع فريق الملك نفسه، أو بالأحرى أن الأخير قد أتمّ مهمته في تقطيع الوقت ريثما تنضج ظروف المحكمة الدولية والقرار الإتهامي.

كلينتون تطرح الملك أبو الشوارب أرضاً!

خالد شبكشي

في ٨ يناير الجاري التقت هيلاري كلينتون وزير الخارجية بالملك عبدالله، فنسفت له كل ما اتفق بشأنه مع الرئيس السوري بشار الأسد فيما يتعلق بترتيب الأوضاع اللبنانية الداخلية، التي تنتظر قراراً اتهامياً من قبل المحكمة الدولية لعناصر من حزب الله بأنها وراء اغتيال رفيق الحريري.

(تسوية س. س) التي مضى على طبخها نحو شهرين أو أكثر، ضاعت في لحظات. وفي مساء الثامن من يناير، يتصل الملك عبدالله بالرئيس الأسد ليبلغه بأنه غير قادر على المضي قدماً فيما اتفقا بشأنه لأسباب قاهرة، مؤملاً أن لا تتأثر العلاقات الثنائية سلباً من هذا التراجع السعودي.

الملك عبدالله الذي قرأنا له في وثائق ويكيليكس الأميركية نقداً حادّاً لرئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، لأن الأخير لم يلتزم بوعوده وتعهداته له، رغم أن أحداً لا يستطيع القطع بأن المالكي وعد آل سعود شيئاً.. هذا الملك الهمام، نراه يتراجع بعد اجتماع دام نصف ساعة فقط مع ذات الشوارب الحقيقية كلينتون، حيث أصرّت على توجيه الإتهام السياسي لحزب الله عبر المحكمة الدولية التي رعتها واشنطن، بغض النظر عمّا ستؤول اليه الأوضاع في لبنان كتداعيات للقرار الظنّي.

بات واضحاً اليوم أن أميركا هي التي أفشلت اتفاق الأسد - عبدالله (س.س).

والسبب أن الملك السعودي لم يكن رجلاً بما فيه الكفاية ليقاوم عنتريات كلينتون.

لم يكن رجلاً بقدر وعوده وتعهداته، وهو الذي يطالب الآخرين أن يحفظوا وعودهم له!

ولم يكن حاكماً قوياً فيحفظ ماء وجه بلاده وسيادتها. إذ كيف تستطيع سوريا أن تقرر ما تريده، ولا يستطيع الملك أن يفعل ذات الأمر؟! كيف يستطيع الأسد مقاومة الضغوط الأميركية والفرنسية، في حين أن الملك السعودي لا يستطيع أن يقول نصف (لا) حفاظاً على مصالح بلاده؟!

يصفون الملك عبدالله بأنه (رجل العروبة)! وبئس العروبة التي يمثلها شخص مثله!

ويصفونه بأنه رجل الحكمة!، وهي كذبة لازالت الأحداث تؤكدها.

وسبق أن وصفوا الملك عبدالله بأنه رجل الإصلاح، ولكن القمع لازال قائماً، والفقر ضارب أطنابه في بلد النفط والدماء، والبطالة في تزايد مستمر أين منها (البطالة في تونس!)؟

ربما تصور الملك عبدالله بأن لديه هامشاً من الحرية للتحرك والإتفاق مع الآخرين من نظرائه الرؤساء. فعقد اتفاقاً مع الأسد ثم تراجع عنه، بما يكشف عن حقيقة أن السياسة الخارجية السعودية لا تتمتع إلا بهامش ضئيل من الإستقلال.

ليست المشكلة في تراجع الملك عبدالله؛ وإنما في أولئك الذين اعتقدوا بأنه يمكن الإعتماد على وعوده وتعهداته بتبني قرارات مستقلة في شؤون عربية أو دولية.

ليست القضية محصورة في حقيقة أن أميركا قد خرّبت اتفاقاً بين دمشق والرياض فاستحقت اللعن، بقدر ما هو مؤلم إدراك حقيقة أن ذلك الإتفاق كان يمكن أن ينجح لو أن الملك السعودي كان يتمتع بقدر ولو قليل من الكرامة والإستقلالية والشجاعة، فصمّ أذنه عن النصائح الأميركية التي ألقتها على قلبه هيلاري كلينتون!


من هو أبو الشوارب الطويلة بينهما؟!

الآن وقد حدث ما حدث، فإن السعودية تتحمّل جزءاً غير قليل من المسؤولية إزاء التداعيات التي أحدثها تخريب اتفاق (س.س).

الضحية الأولى كانت الحكومة اللبنانية، حيث أسقطتها المعارضة قانونياً ودستورياً بـ(الثلث المعطل). أي باستقالة ثلث الوزراء. وفي حال صدر الإتهام الظنّي، فإن أحداً غير مخوّل بتنفيذه لغياب الحكومة (عدا أن تقوم بتصريف الأعمال) الذي يبدو أنه سيطول كثيراً.

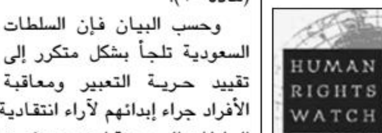
سعود الفيصل، وزير الخارجية، هوّل من وقع سقوط حكومة الحريري، وقال في مؤتمر صحافي في أنقرة بأنه يخشى من أن يؤدي يتوسع التوتر في لبنان ليشمل المنطقة كلها، ملمحاً الى احتمال قيام إسرائيل بشن هجوم على لبنان. وكان الفيصل - حسب وثائق ويكيليكس - قد طلب قبل عامين من أميركا دعم مشروع إرسال جيش عربي للقضاء على حزب الله مرة والى الأبد، وذلك بتغطية جويّة من الناتو والولايات المتحدة الأميركية وبمظلة سياسية أممية. هذا المقترح السعودي وجده الأميركيون غير قابل للتطبيق، ولكنه يكشف حقيقة أن الأمراء السعوديين لا يقلقهم انتشار العنف في لبنان إن كان ذلك يخدم أجندتهم، ولكن أن تستخدم القوة من قبل فريق حزب الله سواء في اللعبة الداخلية، أو في مواجهة إسرائيل فهذا أمرٌ مزعج للسعوديين.

المعطيات الحالية لا تخدم تحليل السعوديين. نعم لقد فوجئوا هم والأميركيون بإسقاط حكومة الحريري، الذي ناشد دولاً عديدة عربية وأجنبية بما فيها قطر للتدخل والقيام بوساطة؛ ومثل ذلك فعلت كلينتون التي طلبت من قطر ومصر وغيرهما التوسط بغية تهدئة الوضع بعد أن صدمت بإسقاط الحكومة اللبنانية دستورياً. أما الصهاينة، فعبّروا عن خشيتهم من أن تفضي ظروف التوتر اللبناني الداخلي - لا الى استهبال الفرصة من قبلهم والقيام بهجوم على حزب الله وإشعال حرب جديدة - بل الى قيام الحزب نفسه بهجوم على إسرائيل، إما توجيهاً لدفّة المعركة نحو العدو الأصلي، أو لخلط الأوراق السياسية في المنطقة.

الدوحة لم ترغب في أن تلعب دوراً جديداً، وتملّصت من الأمر بأن أعلنت أنه لن تكون هناك (دوحة ٢) وأنها تؤيد المبادرة السورية السعودية، في إشارة الى أنها تحمل الحل، وأن من قتلها يتحمّل مسؤولية بعثها حيّة تسعى!

هيومن رايتس ووتش: ترحيل الصوماليين عملٌ غير إنساني

انتقدت منظمة هيومن رايتس ووتش السلطات السعودية في ٢٠١٠/١٢/٢٢ لقيامها بترحيل الالاف من اللاجئين الصوماليين غير الشرعيين وبينهم أطفال إلى مقديشو واعتبرت هذا التصرف (غير انساني) ومخالف للقوانين الدولية التي صادقت عليها الحكومة السعودية. وقالت المنظمة في بيان لها إن السعودية رحلت نحو ٢٠٠٠ صومالي إلى مقديشو في شهري يونيو ويوليو الماضيين، كما رحَلت في ١٧ ديسمبر ١٥٠ مهاجراً غير شرعيا آخرين الى مقديشو، استنادا إلى تقارير صحافية.



وقالت رونا بليغال، مسؤولة شؤون أفريقيا لدى هيومن رايتس ووتش: إن (طرد أي شخص باتجاه منطقة تشهد حربا مثل مقديشو هو عملٌ غير انساني، لكن طرد اطفال ـ وهو ما قامت به السعودية ـ يفوق كل منطق). واضاف البيان إن على السلطات السعودية أن توقف فورا عمليات الترحيل هذه وتضمن عدم ترحيل الصوماليين المقيمين في السعودية إلى بلدهم.

تجدر الإشارة الى ما هو معلوم من أن الحرب بين الجماعات الاسلامية المسلحة والقوات الحكومية قد أرغمت مئات الالاف من الصوماليين على الهرب من مقديشو. وذكرت هيومن رايتس ووتش بان القانون الدولي يمنع إعادة اللاجئين بالقوة إلى مكان يمكن أن يتعرضوا فيه للاضطهاد أو التعذيب أو أي شكل من سوء المعاملة.

تنديد بالقيود الرسمية على الإنترنت

دعت منظمة هيومن رايتس ووتش في ٢٠١١/١/١١ وزير الإعلام السعودي، عبد العزيز خوجة، إلغاء اللائحة الصادرة في ٢٠١١/١/١ والتي تقيّد حرية التعبير على الإنترنت ومن خلال الوسائط الإلكترونية الأخرى.

وقال بيان للمنظمة بأن القوانين الجديدة تُخضع جميع الأنباء والتعليقات التي يتم توزيعها إلكترونياً لنظام الإعلام السعودي، الذي يطالب أي شخص يرسل مثل هذا المحتوى بالحصول على ترخيص إعلامي والالتزام بقيود على المحتوى فضفاضة التعريف.

وقال كريستوف ويلكى، من منظمة هيومن رايتس ووتش: (الحريات القليلة التي اكتسبها السعوديون في التعبير عن آرائهم على الإنترنت، وتلك الحيوية المحدودة التي تمتع بها السعوديون في إعلامهم، وضعت هذه اللائحة حداً لها. إنها ليست إلا عذر قانوني واه يخفي وراءه القمع الحكومي لحرية التعبير على الإنترنت في المملكة).

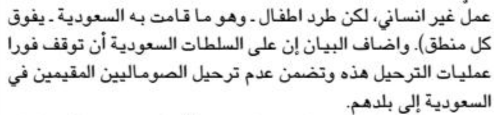
اللائحة التنفيذية لنشاط النشر الإلكتروني لا تغطي فقط المواقع على الإنترنت التي تنشر أخباراً أو تخدم منتديات للنقاش، بل أيضاً تُخضع لها أي كيان يبث أخباراً عن طريق المدونات أو الرسائل النصية عن طريق الهواتف النقالة، ومجموعات البريد الإلكتروني، للسيطرة الحكومية.


كريستوف ويلكي

ويُلزم النظام المذكور جميع المنشورات الإلكترونية بالالتزام بنظام الصحافة والمطبوعات لعام ٢٠٠٠. وخرق القانون (النظام) أو اللائحة يعني التعرض لغرامات وإغلاق المواقع التي تخرق القواعد (مادة ١٠).

وحسب البيان فإن السلطات السعودية تلجأ بشكل متكرر إلى تقييد حرية التعبير ومعاقبة الأفراد جراء إبدائهم لآراء انتقادية للحكومة. وكمثال على ذلك، أن السلطات السعودية احتجزت في ١٥ يونيو ٢٠١٠ الشيخ مخلف بن دهام الشمري، وهو ناشط حقوقي مع اتهامه بـ (إزعاج الآخرين) على خلفية نشره لمقالات ينتقد فيها مسؤولين حكوميين ورجال دين ذوي آراء متطرفة.

وقال كريستوف ويلكى: (لقد تكررت معاقبة السلطات السعودية لمن ينشرون أخباراً لا تعجب الحكومة). وتابع: (ما تحتاجه المملكة هو الحماية القانونية للتعبير الحر والسلمي عن الآراء دون شروط أو تراخيص أو تسجيل طرف الحكومة).



سجون السعودية: ظلم، وانتحار، وإهانة، وأمراض مستعصية!

في الوقت الذي أكدت فيه الجمعية السعودية لحقوق الإنسان بأن السجون السعودية لا ترق الى المعايير الشرعية أو الإنسانية في تعاملها مع المعتقلين.. كشف الناشط الحقوقي المعتقل من مخلف الشمري في رسالة من داخل سجنه أواخر ديسمبر الماضي عن فظائع تجري في السجون السعودية. وقد أكد الشمري المعتقل منذ ١٥ يونيو الماضي لمجرد كتابته مقالات ناقدة، بأن المعتقلين في سجن الدمام بالمنطقة الشرقية يعيشون أوضاعاً صعبة، وأن السجين نافع الشمري انتحر في السجن احتجاجاً على سوء معاملته، كما أن ثلاثة من معتقلي الرأي قتلوا داخل السجن بسبب التعذيب وسوء الأحوال الصحية والمعيشية.

مخلف الشمري

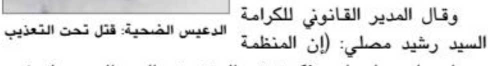
وأشار الشمري الى تفشي الأمراض بين السجناء، بما في ذلك

مرض الأيدز والتهاب الكبد الوبائي، وزاد بأن سلطات السجن تمارس قمعاً خاصاً على بعض السجناء والنشطاء السياسيين وأصحاب الرأي، موضحاً أن عائلته وأطفاله حرموا مراراً من زيارته ورؤيته، بل أن إدارة السجن رفضت خروجه لحضور جلسة ديوان المظالم في القضية التي أقامها ضد وزارة الداخلية على الرغم من وجود موعد رسمي. وأكد الشمري بأن إمارة المنطقة الشرقية التابعة للداخلية والتي تشرف على الوضع الأمني وغيره من الأجهزة الحكومية، تتعمد إهانة السجناء، ومن بين ذلك وحسب الشمري، فإن لجنة جاءت الى السجن بقصد جلده ٣٠ جلدة بحجة أنه سمح في ٢٠٠٥ لمكفوله بالسفر بعد انتهاء مدة اقامته، وأن مكفوله ذاك كان مطلوباً في قضية شرب الخمر!! وأضاف: (هذا العمل قُصد به إهانتي واستفزازي وأنا مسجون منذ سبعة أشهر دون ذنب).

وذكر الشمري بأن هناك المئات من الاجانب لا يزالون في السجن على الرغم من انتهاء مدة سجنهم، وأن هناك مئات أخرى من المعسرين السعوديين والأجانب في السجن منذ سنوات لعدم تمكنهم من دفع الغرامات.

الدعيس ثالثاً: قتل تحت التعذيب والحكومة ترفض تسليم جثته لأسرته

وجهت الكرامة، المنظمة الحقوقية التي تتخذ من جنيف مقراً لها، وجهت في ٢٢ ديسمبر الماضي نداءين عاجلين لكلٍ من المقرر الخاص المعني بحالات الإعدام خارج إطار القضاء، والمقرر الخاص المعني بالتعذيب، تلتمس منهما التدخل لدى السلطات السعودية للكشف عن ملابسات وفاة المعتقل اليمني سلطان محمد عبده الدُعيس، الذي يعتقد أنه توفي تحت التعذيب في سجن القصيم مطلع شهر ديسمبر الماضي، ولم يسمح لأسرته باستلام جثته حتى هذه اللحظة.


الدعيس الضحية: قتل تحت التعذيب

وقال المدير القانوني للكرامة السيد رشيد مصلي: (إن المنظمة حصلت على معلومات مؤكدة تشير إلى تعرض السيد الدعيس لتعذيب شديد في سجن القصيم أدى إلى وفاته، بينما تحاول السلطات السعودية مساومة العائلة، للحصول على موافقتها في دفن جثمان الضحية بالأراضي المقدسة في مكة المكرمة أو المدينة المنورة). وحسب الكرامة فإنه سمح في ٢٠١٠/١٢/١ لأحد أفراد أسرة الدعيس بإلقاء نظرة سريعة على جثمان الضحية، بعدما أبلغ رسمياً أن الوفاة كانت بسبب التهاب رئوي، ولكنه حين شاهدها لاحظ أن الضحية قد عُذّب بقسوة، وأن آثار التعذيب كانت واضحة على أجزاء من جسده.

والسيد سلطان محمد عبده الدعيس (٣٢ عاماً)، متزوج، ولديه ثلاثة أطفال، ويعمل تاجراً في العاصمة السعودية الرياض. وطبقاً لشهادات الأسرة، فقد ألقي عليه القبض بتأريخ ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٦ في حي النسيم بالرياض على أيدي عناصر تابعة لجهاز المباحث العامة (المخابرات)، من دون مذكرة توقيف صادرة بحقه، وظل رهن الاحتجاز التعسفي طيلة هذه المدة، لم يمثل خلالها أمام قاضٍ، وتعرض لأشكال مختلفة من التعذيب وسوء المعاملة.

وتعد هذه ثالث حالة وفاة تحت التعذيب يكشف عنها النقاب لضحايا يمنيين تعتقلهم السلطات السعودية، فقد سبق أن توفي تحت التعذيب كل من: خالد أحمد حاتم، وسالم عبود باحنيف؛ الأول، ألقي عليه القبض وأودع سجن ذهبان منذ أواخر ابريل ٢٠٠٨، ولفظ أنفاسه الأخيرة نتيجة تعرضه للتعذيب في ٢٠٠٨/٨/٣١. أما الثاني، فقد توفي يوم ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٩ نتيجة ظروف اعتقال سيئة للغاية وإهمال طبي متعمد، أدى في نهاية المطاف إلى إصابته بالتهاب رئوي حاد ومن ثم وفاته.

ويعتقد أن القتل لليمنيين لا يخلو من عنصرية سعودية، إذ يجري في العادة التساهل بدماء المنتسبين الى دول فقيرة أو دول لا تهتم حكوماتها بأبنائها المغتربين.

العمالة المنزلية: ثلاث محاولات انتحار على الأقل اسبوعياً!

كشف رئيس الخدمة الاجتماعية في مستشفى الملك فهد في جدة طلال الناشري بأن المستشفى يستقبل أسبوعياً من ثلاث إلى أربع حالات – على الأقل – لسقوط عاملات منزليات من نوافذ وشرفات علوية. وأضاف بأن كثيراً من العاملات لا يفكرن لحظة إقدامهن على القفز من أماكن عالية في العواقب الصحية والنفسية عليهن، وربما انتهت الكثير من هذه التجارب بمفارقة الحياة. وأضاف: (عند سؤالهن عن سبب إقدامهن على القفز بهذه الطريقة، يبررن ذلك بضغط العمل).

تأكيداً لاضطهاد العمالة المنزلية، تروي (ريتا) التي تعمل في أحد منازل المدينة المنورة معاناتها فتقول: (حتى لو خلدت إلى النوم في الثالثة والنصف صباحا، يجب أن أستيقظ في الخامسة والنصف صباحاً، ويجب أن أستمر في العمل حتى الواحدة صباحاً وأحياناً حتى الثالثة صباحاً، وذات مرة قلت لربة عملي: أنا بشر مثلك، وأحتاج إلى ساعة راحة، فقالت لي: لقد جئت لتعملي. أنت كحذائي يجب أن تعملي بلا تعب)!

وتقول عاملة أخرى اسمها (ايرنا) والتي لم تتقاضَ راتبها لعام وخمسة أشهر: (حين كنت أطلب النقود كانوا يضربونني، ويجرحونني بالسكين أو يحرقون جلدي، وأصابوني بعلامات على ظهري وجسدي كله. كانوا يمسكون برأسي ويضربون به الحائط). وتضيف: (كلما طالبت براتبي يقع شجار).

محاكمة دعاة الإصلاح بتهمة:

قلب نظام الحكم دفعة واحدة!!

فريد أيهم

بدأت العائلة المالكة تضيق ذرعاً بحرية التعبير والنقد، فلم يعد هناك تدرّج في لوائح الإتهام، بل هي تهمة واحدة تلاحق الجميع المخالفين لسياساتها في صغيرة أو كبيرة، وهي محاولة قلب نظام الحكم. نتذكر الأمير الليبرالي، زعماً، سعود الفيصل في ١٦ آذار (مارس) ٢٠٠٤ في مؤتمر صحافي مع نظيره الأميركي كولن باول كيف أراح نفسه وضيفه ووسائل الإعلام من حوله بأن الاصلاحيين كانوا يهددون الوحدة الوطنية ويتعالون مع جهات أجنبية، بل اعتبر اعتقال الإصلاحيين بداية الإصلاح.

في يوم السبت بتاريخ ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) الماضي وجّهت هيئة الإدعاء العام إتهامات ضد ١٦ إصلاحياً بدعم (الإرهاب) ومحاولة قلب نظام الحكم في السعودية. وكان المتّهمون قد اعتقلوا في ٢ شباط (فبراير) ٢٠٠٧، خلال اجتماع في منزل المحامي عصام بصراوي في جدة لتداول فكرة تقديم عريضة تشتمل على المطالب بإصلاحات سياسية وحقوقية بما فيها إنشاء جمعية للحقوق المدنية. كما جرى اعتقال أشخاص آخرين في مواقع مختلفة من بينهم سعود مختار الهاشمي المتّهم بالسفر الى العراق عقب سقوط نظام صدام حسين ومساعدة الارهابيين، والقاضي السابق سليمان الرشودي، أحد مؤسسي لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية في العام ١٩٩٢. وقال باسم عبد العليم، محامي المتّهمين، إن موكليه هم ضد تنظيم القاعدة ويسعون الى الإصلاح وفتح عقول الناس، وأضاف (هذه الاتهامات خطيرة والبعض منها غير منطقي لأنها تقوم على نيات مستقبلية أو افتراضية لدى المتهمين). ولفت إلى أن ثلاثة من المتهمين قد أفرج عنهم من بينهم المحامي البصراوي الذي سيمثل أمام المحكمة.

كل الذين استمعوا الى اتهامات هيئة الإدعاء العام، أو الذين قرأوا عنها في وسائل الإعلام أصيبوا بصدمة، واستغربوا كيف أن مطالبة بالإصلاحات تتحوّل الى تهمة بقلب نظام الحكم. وقد فسّرت هذه الاتهامات على أنها رسالة الى كل من يحمل مطالب مماثلة بأن التهمة التي تنتظرهم هي قلب نظام الحكم، ما يقطع السبيل على أي حوار ناجح بين الحكومة والقوى السياسية والإجتماعية، ومن شأنه توتير العلاقة بين الطرفين، خصوصاً حين تفقد هذه العلاقة معايير واضحة ونزيهة.

وجد إصلاحيون كثر في الإتهامات تدميراً لفرص اللقاء مع الحكومة في نقطة ما، وحرقاً لآمال الحل لمشكلات مزمنة، لا سيما حين توضع قضية المتّهمين والإتهامات الغاشمة التي ألصقت بهم والعقوبات المنتظرة بحقهم، في مقابل قضية المئات الضالعين في أعمال عنف موصوفة وواضحة، من عناصر القاعدة في الداخل، والذي جرى التعامل معهم ضمن برامج الاستيعاب والمناصحة وما تشتمل عليه من مغريات لم تقدّم قط لأي سجين رأي في هذا البلد، وإن أغلب المعتقلين في السجون السعودية يقعون في خانة سجناء الرأي.

المتحدّث بإسم وزارة الداخلية منصور التركي الذي حاول عبثاً الإيحاء لضيوفه الإعلاميين بأن لا علم لديه عن تفاصيل قضية الإصلاحيين المتّهمين بمحاولة قلب نظام الحكم، وأنه سيسعى (لاحقاً) للحصول على معلومات حول القضية تعينه على تقديم جواب مباشر بخصوص الإتّهامات الموجّهة إلى المعتقلين. ولكن التركي لم يتردد في تقديم إجابة واضحة وقاطعة (إن المظاهرات غير قانونية في المملكة)، والسؤال: متى كان القانون دليلاً على

كل الذين استمعوا الى اتهامات هيئة الإدعاء العام أصيبوا بصدمة، إذ كيف تتحول المطالبة بالإصلاحات الى تهمة بقلب نظام الحكم

أعمال ونشاطات الاصلاحيين، بل وعلى أداء وسلوك الأمراء، ولكّنه القانون المقصود هنا هو الحكم، أي حكم آل سعود، وكأن فحوى الكلام أن الاعتراض على حكم آل سعود مهما بلغت انحرافاته مرفوض على الإطلاق.

ولذلك، لم يكن مستغرباً أن ينال أكاديميون، وناشطون حقوقيون، وإعلاميون عقاباً عسيراً دون وجه حق، لمجرد أنهم جهروا بآراء لا تروق للعائلة المالكة أو أنهم أخلصوا في النصح بما لا يرضي الأمراء فأطلقوا عليهم خفافيش الليل ليقتادوهم الى حيث يقبع الأحرار من الذين لم يبيعوا ضمائرهم من



الاصلاحي المعتقل القاضي سليمان الرشودي

أجل حفنة مال أو هدايا السلطان الغاشم. في السادس من كانون الأول (ديسمبر) الماضي، أعتقل الأستاذ المساعد في الشريعة الاسلامية في جامعة الإمام محمد بن سعود، محمد العبد الكريم، بعد أن نشره مقالاً على صفحته في الفيس بوك بعنوان (أزمة الصراع السياسي بين الأجنحة الحاكمة في السعودية)، حدّد فيه مطلباً جوهرياً للشعب وهو (حكم راشد تتحقق فيه المساواة والمشاركة السياسية، وقسمة عادلة في الحقوق والواجبات ومسارعة في حفظ المال العام بدل نهبه وتبذيره). واعتبر العبدالكريم ذلك ضمانة كافية لاستقرار الدولة والشعب، وانتقد الطريقة التي يتم التعامل بها مع مسألة تداول السلطة وتوارث العرش. وأثار العبدالكريم سؤالاً مركزياً عن غياب الحق الطبيعي للناس في اختيارهم قادتهم، وربط ذلك الحق بمصير المملكة، كما أضاء على العلاقة بين صراع الأجنحة في العائلة المالكة ووحدة المملكة، حيث أن الصراع في ظل عدم وجود قاعدة شعبية تؤيّد الدولة، بسبب غياب أي دور لهذه القاعدة في اختيار شكل الحكم وشخص الحاكم، يفضي بصورة طبيعية الى تفكك الدولة في لحظة ما غير بعيدة.

وفي يونيو (حزيران) ٢٠١٠، أقدمت أجهزة الأمن التابعة لوزارة الداخلية على اعتقال الناشط الحقوقي مخلف الشمري، ووجهت إليه تهمة (إزعاج الاخرين). وعلى الرغم من أن المحكمة رفضت الإتهام، إلا أن الشمري لا يزال معتقلاً. إن استعمال عبارة (إزعاج

السلطات)، في لغة القرارات الإتهامية تعكس حالة تردي خطير في أوضاع حقوق الإنسان، إذ أن مثل هذه العبارة قد تنطبق على كل النشاطات الحقوقية باعتبارها نشاطات مزعجة للآخرين (=الحكومة). ما هو أخطر من ذلك، أن تهمة(إزعاج الآخرين) هي تهمة من لاتهمة له، حيث أن الحكومة حين تعجز عن توصيف جريمة ما حقيقية أو حتى افتراضية، تلجأ الى مثل هذا النوع من الإتهامات بحيث تصبح تهمة (إزعاج الآخرين) مرنة الى حد كونها تستوعب كل شيء وكل شخص.

من وجهة نظر الاصلاحيين والحقوقيين، أن الحديث عن الاصلاح يشبه الى حد بعيد العلاقة السلبية بين الجعجعة والطحن، فلم يتغير شيء حقيقي في مؤسسات وسياسات الدولة، فمازالت فئة المستأثرين حاكمة، ومازال الفساد يأكل في جسد الدولة، حتى بلغت أرقاماً قياسية ومفزعة، ومازالت أجهزة القمع تعمل دون رقيب ولا حسيب، والأنكى ما ظهر في اتهامات هذه الأجهزة للإصلاحيين بقلب نظام الحكم، من أجل ترويعهم والتهويل على من يليهم ممن لديه نوايا إصلاحية أو أفكار في الإصلاح لم تتحول بعد الى مشروع عمل. صحيح أن منسوب وعي المواطنين الحقوقي والسياسي قد ارتفع بصورة ملحوظة بفضل تكنولوجيا الإتصال والتواصل ذات الطابع العولمي، ولكن الصحيح أيضاً أن ملف الانتهاكات لحقوق الإنسان، ومستويات الفساد، ونسبة الحرمان والفقر، مازالت في تصاعد وبوتيرة متسارعة وكأن السلطيون في سباق مع الزمن، أو

THE OBSERVATORY
for the Protection of Human Rights Defenders
L'OBSERVATOIRE
EL OBSERVATORIO
URGENT APPEAL - THE OBSERVATORY
SAUDI ARABIA

إدانات دولية لاعتقال الاصلاحيين

أنهم يدركون بأن عمر الدولة قصير ولابد أن يحصدوا ما استطاعوا من مال وعقار قبل أن تحين لحظة لا يغني فيها عن عقاب الشعب سوى التسليم بمطالبه أو الاختباء بعيداً عن الأنظار، إن قدّر لهم النجاة.

تتلطى وزارة الداخلية اليوم وراء الحرب على الإرهاب لممارسة القمع في أبشع أشكاله ضد الناس الذين لم يحملوا سلاحاً ولا يؤمنون به وسيلة للتعبير عن مواقفهم، فصارت تهماً من قبيل (قلب نظام الحكم)، و(تهديد الوحدة الوطنية) و(تهديد الأمن الوطني) وأخيراً وليس آخراً (إزعاج الآخرين) لائحة اتهامات معلّبة يجري استعمالها بإفراط وأمام مرأى وسمع دول حليفة لها مثل الولايات المتحدة والغرب عموماً، لإسكاتها طالما أن (الداخلية) بلغت مستوى الرضا لدى الكبار في مجال التعاون في الحرب على الإرهاب، وبعد ذلك ليكن ما يكون من إتهامات ضد كل الأشخاص المصنّفين في قائمة المعارضين لآل سعود.

فإلى جانب لعبة (بيانات) الداخلية التي تجرد فيها فاتورة العمليات الأمنية التي تقوم بها ضد عناصر القاعدة، في سياق بيع تلك الانجازات الأمنية داخلياً وأميركياً، لأهداف باتت مفضوحة، وخصوصاً بالنسبة لشخصية مازالت غير قادرة على حسم موقعها من العرش، أي الأمير نايف، وزير الداخلية.. نقول إلى جانب ذلك، بدأت لعبة أخرى، وهي نشر أسماء المطلوبين السعوديين (في الخارج) والذي يراد استعماله في صراع الرياض وطهران، حيث سيظهر في لحظة ما أن تلك الأسماء موجودة في إيران، الى جانب العشرات من عناصر القاعدة التي تحاول الداخلية تارة بيعهم الى الغرب والولايات المتحدة، وتارة توظيفهم في حربها ضد إيران، وتارة إقحامهم في مشاريع الفتنة في لبنان والعراق وسوريا ومصر وغيرها..

أما طلاّب الحرية والإصلاح في الداخل، فإن الداخلية قد صمّمت خططاً شريرة للجم أصواتهم، ووأد نشاطاتهم عبر الاعتقال، والتعذيب، والفصل التعسفي من الوظائف، ورسائل التهديد بأشكالها المختلفة. وطالما أن القضاء خاضعاً تحت سيطرة (الداخلية) تأمره فيطيع، وتملي عليه الأحكام فيتحول القضاة الى مجرد سعاة بريد، وليس عليهم سوى إيصال الأحكام، وإبلاغ العقوبات لمتّهمين لم تسمع مرافعاتهم ولا دفوعاتهم، حتى صارت (الداخلية) وأجهزتها الأمنية قناة التواصل بين الدولة والمجتمع، وكان ذلك سبباً كافياً لفقدان الناس الثقة في الدولة، ومبرراً لدى البعض للمصادمة معها وتمني زوالها ولو كان ذلك عبر الشيطان.

تتلطى وزارة الداخلية وراء الحرب على الإرهاب لقمع الناس الذين لم يحملوا سلاحاً، ولا يؤمنون به وسيلة للتعبير عن مواقفهم

علاوة على ذلك، فقد نشط جهاز (المباحث السياسية) المسؤول عن الإعتقالات التعسّفية ضد أصحاب الرأي الحر، والمسؤول أيضاً عن كل ما يجري على المعتقلين من أضرار جسدية ونفسية في المعتقلات التي تفتقر إلى أدنى الشروط الصحية، في وقت يتم فيه منع منظمات حقوقية محلية أو دولية من زيارة المعتقلين، للتعرّف على أوضاعهم ومطالبهم. يضاف إلى ذلك قسط أشد من المعاناة وهو أحكام السجن طويلة الأمد، إلى جانب التعذيب النفسي والجسدي، لا يفرّق فيه بين عالم وأستاذ جامعي وشاب إنخرط في عصابة إجرام قتل أو مخدرات، فالدولة في التعامل مع مخالفيها سواء، وقد يجد المتورّطون في جرائم القتل والسرقة والمخدرات من العطف والعفو والرحمة ما لا يلقاه أي من سجناء الرأي، الذين لفرط اطمئنان الداخلية إزاء أية تداعيات خارجية على تصرّفاتها، صارت تتفنن في إطلاق الاتهامات الى حد إيصالها الى قلب نظام الحكم.



المعتقل د. سعود الهاشمي

كيف يمكن الوثوق بمزاعم الإصلاح، بمافي ذلك إصلاح القضاء، ولا تزال المحاكمات تجري لعشرات بل مئات المعتقلين بصورة سرية ولا يعرف أحد عنها. كان مثيراً إعلان وزارة العدل في ٩ كانون الثاني (يناير) الجاري عن أن المحكمة الجزائية نظرت في ٤٤٢ قضية ضد القاعدة وأنها تواصل النظر في قضايا الموقوفين من عناصر الفئة الضالة، الأمر الذي يطرح سؤالاً عريضاً عن سيرورة المحاكمات، والنظر القضائي. فهل يعقل أن قضية تهم الوطن برمته لا يعرف أحد عن حيثياتها شيئاً، وإن عرفوا فمن خلال ما تنشره وزارتا الداخلية والعدل من بيانات، والتي تأتي غالباً مقتضبة. وبعيداً عن ذلك كله، هل من يخبر في العدل أو حتى الداخلية عن المسؤول عن موت العشرات تحت التعذيب بعد أن تعرّضوا لأشكال تعذيب وحشية على الرأس وأجزاء حساسة من الجسم حتى قضوا في سجون وزارة الداخلية ودفنوا خلسة أو سلّمت جثثهم الى عوائلهم بحضور جلاوزة الداخلية على أن تدفن بحضورهم أو يبلغوا عن إماكن الدفن في وقت لاحق.

لقد عثرت أجهزة (الداخلية) والأمير نايف وإبنه محمد على وجه الخصوص، في الحرب على الإرهاب على مكافأة غير مسبوقة، فكل من شاعت اعتقاله وتغييبه ألصقت به تهمة الضلوع في نشاطات إرهابية من تمويل ودعم الجماعات القاعدية، وأما للداخل فيكفي تهمة التآمر لقلب نظام الحكم كيما تكون رادعة لكل من يفكّر بمطالب الإصلاح، كما يفعل الآن بسجناء جدة أمثال الهاشمي والرشودي والقرني والشميري وسيف الدين الشريف آل غالب ورفاهم، فقد أصبحت الحرب على الإرهاب رسالة للخارج ولكنها حرباً على الإصلاح في الداخل.

الأمير نايف نائباً ثانياً

حارب الإرهاب، فنال عطف وتأييد واشنطن!

نايف محبط من الأوروبين ويطلب من أميركا مساعدته في إقناعهم بتسليم المعارضين السعوديين لحكومته!

وقال: لو كان هناك أناس في السعودية يعملون ضد بلدان صديقة، فإن السعودية ستتدخل

عبد الوهاب فقي

حين أصبح ملكاً عام ٢٠٠٥، توقّع كثير من الأمراء أن يقوم الملك عبدالله بتخفيض مستوى نفوذ السديريين في الدولة، وأن يرفع مقام حلفائه من الأمراء المهمشين من الأجنحة الأخرى. نقطة الإرتكاز التي كان الجميع يراقبها: من سيصبح ملكاً بعد الأمير سلطان؟ إن كان الملك عبدالله شجاعاً فسيغير المعادلة ويمنع نايف من الوصول الى الحكم. هكذا كانت آمال بعض الأمراء، ومن بينهم الأمير طلال، الذي يكبر الأمير نايف سنّاً.

الملك عبدالله لم يعيّن له نائباً ثانياً (النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء) وهو منصب ابتدعه فيصل، ورأى الملك عبدالله ـ لفترة ما ـ التخلي عنه. وقد فهم أن الملك لا يريد أن يكون نايف نائباً ثانياً أي (الرجل الثالث في الدولة/ الملك القادم بعد سلطان). ومع أن أداء الملك عبدالله كان ضعيفاً ولم يحدّ من النشاط السديري وسيطرته على جهاز الدولة البيروقراطي.. إلا أن عدم تعيينه لنايف اعتبر ميزة له، ودلالة على جدّيته بأنه لن يسمح بتحويل (المملكة السعودية) الى (مملكة سديرية). وما رسّخ هذا الإنطباع، هو أن الملك أسس هيئة البيعة لتختار الملك القادم بعد سلطان، ونشر الى العلن نظامها وكيفية عملها، ما أشاع الإرتياح بين الأمراء المهمشين من أن ساعة تقليم أظافر السديريين قد حانت.

لكن وفجأة، ضرب الملك عبدالله هيئة البيعة في الصميم، قبل أن تباشر عملها حتى. وأكّد أن نايف هو الرجل الثالث حين أعلن تعيينه إيّاه (نائباً ثانياً) لرئيس مجلس الوزراء. هنا أسقط بيد المخالفين، وتحدث الأمير طلال علانية وبسخط ضد ذلك القرار، وتمنّى على الملك ان يعلن بأن تعيينه نايف نائباً ثانياً لا يعني أنه سيصبح ملكاً بدون ترشيح هيئة البيعة.

أما الأمير متعب بن عبدالعزيز، حليف الملك عبدالله، ووزير الشؤون البلدية، فقد عبّر عن سخطه بطريقة أخرى. لقد امتنع عن حضور اجتماعات مجلس الوزراء، ثم انسحب من الحياة السياسية كليّة، ليحتل ابنه منصور منصب الوزارة.



الملك مع مسؤولة مكافحة الإرهاب فرانسيس تاونسند

وردت في وثائق ويكيليكس الأميركية بعض المقتطفات عن الأمير نايف نفسه وعن ابنه ونشاطاتهما وتنسيقهما الأمني مع الولايات المتحدة، وقد أشرنا الى بعض ذلك في وثائق العدد الخاص للحجاز الشهر الماضي (ديسمبر ٢٠١٠). لكن ينبغي التذكير هنا، بأن الولايات المتحدة كانت والى وقت قريب لا تميل الى الأمير نايف، بسبب التصاقه الشديد بمن تسميهم بالعناصر الإرهابية الوهابية القاعدية، وعدم جديّته في مواجهة الإرهاب، فضلاً عن دعمه لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي يكرهها معظم السعوديين، وإطلاقه تصريحات أزعجت واشنطن تنفي بأن يكون لسعوديين أي دور في هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

شهدت السنوات الماضية تطوراً في العلاقات بين نايف وابنه من جهة وبين واشنطن من جهة أخرى، وانخرط الطرفان في تعاون غير مسبوق بشأن (مكافحة الارهاب)

السنوات الثلاث الماضية شهدت تحسّناً في العلاقات بين نايف وابنه من جهة وبين واشنطن من جهة أخرى، فقد انخرط الطرفان في تعاون غير مسبوق بشأن (مكافحة الإرهاب)؛ وحوّلت الداخلية السعودية مناقصات لشركات أمنية أمريكية تقوم بتدريب وتجهيز عناصر سعودية لمكافحة الإرهاب. هذا التنسيق الأمني اللصيق بواشنطن، حسّن من وضع ومركز الأمير نايف لدى واشنطن، التي تشعر اليوم ـ كما تفيد الوثائق ـ بالرضا عن أدائه هو وابنه لوزارة الداخلية، خاصة ما يتعلق بمكافحة الإرهاب، حسب التسمية الأميركية.

فيما يتعلق بتعيين نايف نائباً ثانياً

لرئيس مجلس الوزراء، وتحوّله الى الرجل الأقوى في النظام السعودي، حيث تضاهي قوته قوة الملك عبدالله نفسه.. تشير وثيقة أميركية (٠٩RIYADH٤٩٦) ومؤرخة في ٣١/٣/٢٠٠٩) صادرة عن السفارة الأميركية، حملت عنوان (إعداد المشهد قبل زيارة السناتور بوند الى السعودية) في الفترة ما بين ٦ و ٨ ابريل ٢٠٠٩.. تشير الى التالي:

بالرغم من تعيين الأمير نايف نائباً ثانياً للملك، رئيس مجلس الوزراء، ألا أن التعيين لا يعني بالضرورة أن يصبح نايف (ولي العهد القادم)، لأن الملك أنشأ هيئة البيعة لاختيار خليفة الملك. قد يكون الملك مدفوعاً بالجانب العملاني. ولي العهد الأمير سلطان هو في كل الأحوال غير مؤهّل للقيام بمهامه، وأن الملك بحاجة الى السفر للخارج. ولا بدّ أن يتولى شخص ما الأمر. إن نايف، وبحكم تفوقه من بين أبناء عبد العزيز وموقعه كوزير للداخلية، كان وفق التقليد المرشح القيادي للمنصب. مساعد وزير الداخلية محمد بن نايف أخبر السفير بأن تعيين والده لا يجب أن ينظر إليه في ضوء التوارث، ولكنه (ضرورة إدارية).

لا يمكن الجزم بأن المسألة مجرد ضرورة إدارية، بل نحن أقرب الى الجزم بأن تعيين نايف نائباً ثانياً ـ وإن اقتضته ضرورات إدراية ـ قد عزّز موقعه كملك قادم في ظل رضا أميركي عنه.

في ٥ سبتمبر ٢٠٠٩، اجتمع مساعد الرئيس الأميركي أوباما لشؤون الأمن القومي جون برنان، مع وزير الداخلية السعودي في جدّة. وحسب ملخص (الوثيقة رقم ٠١١١٣٢٨Z) الصادرة من القنصلية الأمريكية بجدة في سبتمبر ٢٠٠٩، فإن ما جرى هو التالي:

شدّد جون برنان، مساعد الرئيس لشؤون الأمن القومي ومكافحة الإرهاب، على إدانة حكومة الولايات المتحدة للهجوم الارهابي الذي وقع في ٢٨ أغسطس ٢٠٠٩ ضد مساعد وزير الداخلية الأمير محمد بن نايف، ودعم الحكومة الأميركية للسعودية في مواجهة التطرّف العنفي. أما نايف فشدّد على أن الهجوم لم يؤثر على خيار الحكومة السعودية في إزالة الارهاب، بالرغم من المخاطر، وشدّد على المقاربة المتعددة الأبعاد للحكومة السعودية والتي تتألف من نقد الأيديولوجية الإرهابية، والعمليات الأمنية، وإعادة التأهيل.

لكن ـ حسب الوثيقة ـ فقد كانت لنايف رؤيته ومطالبه الخاصة وإن بدت غريبة، وفي مقدمتها انتقاده لأوروبا، بل احباطه منها كما تقول الوثيقة آنفة الذكر، كونها تحتضن معارضين لآل سعود، وطلبه من اميركا المساعدة في إقناع القادة الأوروبيين كي يسلموا للرياض معارضيها!! تقول الوثيقة:

عبّر نايف عن الإحباط بسبب التعاون المحدود من قبل الدول الأوروبية الصديقة، والتي لديها اتفاقيات أمنية مع المملكة.


محمد بن نايف بعد محاولة اغتياله مباشرة

وشكى نايف من أن هذه الحكومات تتبادل المعلومات، ولكنها لا تقوم بأيّ عمل. ونتيجة لذلك، فإن (الإرهابيين يتجوّلون بحريّة في بلدانها). وأضاف بأن الأوروبيين لم يسلّموا الإرهابيين الى الرياض، مثل إبراهيم (صالح محمد اليعقوب)، وهو شخصية مهمة جداً يشتبه في تورطها في تفجير الخبر. وقد طلبت السعودية من عدد من الدول بتسليمه كإرهابي عمل ضد المملكة والولايات المتحدة. نايف شكى أيضاً من أن البلدان الأوروبية وبالرغم من أن علاقاتها بالمملكة ودية ولديها معها مصالح متبادلة، إلا أنه ـ أي نايف ـ لا يفهم لماذا يأوي الأوربيون إرهابيين يعملون ضد السعودية. وتابع: لو كان هناك أناس في السعودية يعملون ضد بلدان صديقة، فإن الحكومة السعودية ستتدخل.

هذا وقد طلب نايف مساعدة حكومة الولايات المتحدة في إقناع أوروبا بالتعاون بصورة أكبر. وعلّق برنان قائلاً بأن لدينا إحباطات مماثلة في علاقتنا مع بعض البلدان.

واشنطن تقول بأن السفير السعودي في الفلبين محمد أمين ولي ضالع في تسهيل الإرهاب، وأنه ساعد في الإفراج عن عنصرين من الارهابيين في مانيلا

وشكر نايف الرئيس أوباما على دعم الروابط الأمنية القوية بين البلدين. وقال بأن الملك عبد الله ملتزم بقوة بالتعاون مع الولايات المتحدة ضد الإرهاب، مستدعياً زيارة ١٩٤٥ بين الرئيس روزفلت والملك عبد العزيز، وقال نايف (نحن ملتزمون بما قرّراه)!

لقاء روزفلت بمؤسس حكم آل سعود في عام ١٩٤٥ صار مثل مسمار جحا! كل أمير يأتي فيعزف على أنغامه باعتباره الأساس الذي جمع واشنطن والرياض كحلفاء منذ ذلك الحين. ويبدو أن واشنطن مهتمة اليوم بشكل متزايد بإبن الأمير نايف، محمد، الذي يدير وزارة الداخلية من الناحية الفعلية، باعتباره من الجيل الثالث الأكثر شبابية، ثم أنه أبدى تعاوناً وتفهماً في علاقاته مع واشنطن. الوثيقة: ٠٩RIYADH١١٢١، المؤرخة في ٣١/٨/٢٠٠٩، الصادرة من السفارة الأميركية في الرياض، والتي أعدها السفير الأميركي نفسه، علّقت على محاولة اغتيال محمد بن نايف الفاشلة يومئذ، وقالت بأن (المحاولة فيما يبدو عززت من سمعة الأمير محمد بن نايف، وإن كثيراً من السعوديين من ذوي التوجهات الدينية سينظرون الى نجاته الإعجازية باعتبارها مؤشراً على الحماية الإلهية، وعلى بركة جهوده ضد القاعدة والمتطرّفين)!. ويضيف السفير الأميركي بالقول: (الأمير محمد أبلغنا بأن محاولة اغتياله عززت خياره القائم، وأقنعته بأن استراتيجية مكافحة الإرهاب لدى المملكة المشتملة على الصرامة والتفاهم، مؤثرة ويجب أن تستمر).

واحدة من محاور التعاون الإستراتيجي بين الإستخبارات السعودية والأميركية في مجال مكافحة الإرهاب، ما يتعلق بملاحقة

ما تسميه واشنطن (تمويل الإرهـاب) ومعظم التمويل قـادم كما هو معلوم من السعودية نفسها، التي تحولت بقدرة قادر الى (عنصر مكافحة) بالرغم من أنها (عنصر تمويل!) تمـامـاً مثلما تحـولـت مـن عنصر (مـفـرّخ للإرهـاب) الى عنصر (يكافح الإرهاب). معلوم ان الأيديولوجيا الوهابية والأموال السعودية والـشـبـاب المـؤدلجـين سـعـوديـاً، اجتمعوا كعناصر أساسية نبتوا من مصدر واحد هو الرياض. وهذا لا يخفى على واشنطن ولا على العواصم الغربية، ولكن السعوديين يعرفون كيف يرشون الغرب ويحولون أسلحته باتجاه آخرين من أعدائهم (سعوديون ينفذون أحداث سبتمبر، فيتهم العراق بتمويل القاعدة ويتم احتلاله، فيما يخرج آل سعود أبريـاء!!).

مستشارة بوش الإبـن لمكافحة الإرهـاب فرانسيس تـاونسند، كانت تتابع ملف مكافحة الإرهـاب مع السعوديين في جوانبه المختلفة، وبينه ملف (تمويل الإرهــاب). في ديسمبر ٢٠٠٦ أثـارت موضوع الجمعيات الخيرية السعودية وتنظيمها وهـي المتهمة بتمويل القاعدة تحت ستار العمل الخـيري.. اثـارت الموضوع مع عدد من المسؤولين بينهم أمير لم تذكر إسمه، لكن الإسم ظهر في مكان آخر وهو (بندر) حيث يرجح أن الرقيب فاته حذف الإسـم ووضـع إشـارة (XXX) مكانه. حسب الوثيقة الصادرة من السفارة الأميركية في الرياض برقم ٠٦RIYADH٩٠٩٥، والمؤرخة في ٢٠٠٦/١٢/١٦، فإن:

تـاونسند أثارت واقع هيئة مراقبة وتنظيم الجمعيات الخيرية السعودية، وقـالت بـأنه منذ الإعلان عن العزم في تأسيس الهيئة منذ وقت طويل، فإنها لم تؤسس حتى الآن على أرض الواقع، وبـالتـالي فإن مصداقيتها أصبحت الآن قضية. الأمير XXX وافق على ذلك، وأضـاف بـأن الحكومة تسير ببطء بسبب المخاوف من تعرّضها لهجوم من قبل المتدينين. ولكنه قـال: لقد حـان الـوقت لأن تعرض مسألة هيئة المـراقبـة على الملـك والحـصـول على قـرار بشأنها (حيث أننا غالبـاً ما نتعرّض لتهمة كوننا مستبدين، فلنكن مستبدين لمرة واحدة). وأضـاف بـأنه إذا ما أراد السعوديون الأخيار مساعدة الفقراء، فهناك عدد كـاف من السعوديين الفقراء الذين بـالإمكان مساعدتهم، ولسنا بحاجة الى تمويل جمعيات خيرية في الخارج.

وحـين أثـــارت تـاونسند أهـمـيـة وجـود

S E C R E T SECTION 01 OF 02 RIYADH 009095

SIPDIS

NOFORN
SIPDIS

E.O. 12958: DECL: 12/04/2016
TAGS: PREL EFIN PTER IZ IR SA
SUBJECT: xxxxxxxxxxxx ON IRANIAN THREATS

Classified By: Ambassador James C. Oberwetter for reasons 1.5 (b) and (d).

(S/NF) Summary: xxxxxxxxxxxx told Assistant to the President for Homeland Security and Counterterrorism Frances Fragos Townsend that he was speaking for the King when he urged action to counter Iranian threats. xxxxxxxxxxxx said he worries more about an Iranian missile launch against Saudi oil facilities than a terrorist attack against them, because he can take preventative measures against terrorism but not against Iranian missiles. On the Iranian banking initiative, xxxxxxxxxxxx urged getting action from the UAEG to freeze what he claimed was up to $12 billion in Iranian assets in Dubai-based banks. xxxxxxxxxxxx also discussed the failure to establish a charities commission, and the need to replace the head of Saudi's financial intelligence unit, as well as the King's personal security measures. End Summary.

Iranian Bank Assets and Transactions

2¶. (S/NF) In an early hour meeting at his palace in Riyadh November 15, xxxxxxxxxxxx began by asking APHSCT Townsend if there were any follow-up items from her meetings the prior day with Prince xxxxxxxxxxxx or Prince xxxxxxxxxxxx. Townsend noted that xxxxxxxxxxxx had a list of banking institutions doing business with Iran. We need to use leverage with them, she added, to get them to do what UBS and Credit Suisse have done. xxxxxxxxxxxx agreed. He suggested we need to have an approach, either openly declare the policy as governments or perhaps get some of the banks to announce a new policy towards Iran by themselves.

قوات تدخل سريع مشتركة لملاحقة التمويل الإرهـابـي، رد XXX بـأنـه يريد حـلاً لذلك سريعاً حتى يتم شطب الموضوع من أجندة المسؤولين، والتركيز على التهديد الاستراتيجي الحقيقي - إيران.

في قضايا تمويل مكافحة الارهـاب، قال الأمـير XXX، بأن الأمير محمد بن نايف لم يكن سعيداً برئيس وحدة الاستخبارات المالية السعودية XXX، وهو يود استبداله. بندر زعم بأن محمد بن نايف يقول بأنه قام بتجميد ١٨٩ حساباً بنكياً، تحتوي على ٢٠ مليون دولاراً أميركياً. وشدد الأمـير XXX (بندر؟) على أن الحكومة السعودية تقاسمنا نحن

سعود الفيصل يشكو من أن بنكاً أميركيا يتعامل مع حسابات السفارة السعودية في واشنطن بطريقة عدائية ويزيد في اجراءاته خلافاً للقانون

الأميركيين المصلحة بصورة كاملة في تعقّب التمويل الارهابي، واضاف بأننا بحاجة لأن نفعل ذلك بصورة ذكية بحيث لا نخلق شهداء اقتصاديين بالنسبة للمتطرّفين الدينيين.

بعد شهرين من ذلك اللقاء، عادت مسؤولة مكافحة الإرهـاب فرانسيس تاونسند وأثارت موضوع تمويل الإرهـاب مع وزير الخارجية سعود الفيصل حين التقت به في ٢٠٠٧/٢/٦. فحسب الوثيقة (٠٧RIYADH٣٦٧) الصادرة عن السفارة الأميركية في الرياض بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٢٤، فإن تاونسند

أثنت على جهود الأمير سعود في مواجهة التمويل الإرهابي، ولكن هذا الأخير ألحّ على تحقيق المزيد من التقدّم. ولفتت تاونسند الى أن الرئيس بوش كان قلقاً حول التعاون الثنائي في هذه المنطقة، وأن لديها رسالة الى الملك عبد الله من الرئيس حول هذا الموضوع. أجـاب الأمـير سعود بـأن اعتقال عشرة من المشتبه بتمويلهم الارهـاب في ٢ فبراير كان (تقدّماً جيداً)، ولكن (هناك حاجة لعمل المزيد). وفي سؤال حول المشتبه بهم بما يـؤدي الى المزيد من المبادرات والاعتقالات، حسب قوله، قالت تاونسند بـأنها للتو قابلت وزير المالية العساف وسألته حول الأمر الملكي بالتصريح

عن المـال النقدي في الخـروج والدخول. وقد أصدر الملك الأمـر في السنة الماضية ولكنه بانتظار التنفيذ. ولفت الأمـير سعود الى أن موظفي الجمارك ليسوا هم الأقدر، وأنه كان مندهشاً لعدم التطبيق.

تساءل الأمير سعود حول ما يمكن لوزارته القيام به للمساعدة في التعاون في مجال مكافحة الإرهـاب، فطرحت تاونسند تأسيس هيئة مراقبة الجمعيات الخـيريـة، والتي تم الإعـلان عنها قبل سنتين ولم يجر تنفيذهـا. ولفتت الى أنه يمكن تشكيل الهيئة بطريقين: كهيئة حكومية تكون مسؤولة عن توزيع التبرّعات الخيرية، أو كهيئة تنظيمية لمراقبة تصرفات الجمعيات الخيرية الخاصة، وهي الطريقة التي تعمل بها الـولايـات المتحدة. قال سعود بأن الحكومة السعودية تميل نحو مؤسسة تتحمل المسؤولية المباشرة في توزيع الأمـوال الخيرية/ التبرعات. أثـارت تـاونسند قضية استمرار نشاط بقايا جمعية الحرمين المحظورة من قبل هيئة الأمم المتحدة. رد سعود بأن أي تحويلات غير قانونية قد تمت مراقبتها ووقفها. ومـن خـلال تتبّع مسار التحويلات القانونية، فإن الحكومة السعودية عثرت وأوقفت مصدر التمويل في كثير من التحقيقيات - وبعثت بذلك رسالة احترازية قوية الى الآخرين المتورّطين في نشاطات غير قانونية مماثلة. شكرت تاونسند الأمير سعود على جهود الحكومة السعودية في هذا المجال.

ينبغي التذكير هنا بأن عشرة الأشخاص الذين أشار اليهم سعود الفيصل واعتبرهم متهمين بتمويل الإرهـاب، هم من الإصلاحيين الذين لا يؤمنون باستخدام العنف، وكانوا مجتمعين لتأسيس لجنة تطالب بالإصلاحات السياسية، ومعظم المعتقلين معروفون لدى الهيئات الحقوقية الدوليـة بأنهم نشطاء سياسيين وحقوقيين، بل أن بينهم أشخاص غير متدينين أصلاً، فكيف بهم يتهمون بأنهم يمولون القاعدة؟!

الحكومة السعودية استخدمت يافطة مكافحة الإرهـــاب لتضرب خصومها في الداخل بموافقة واضحة من واشنطن. هذا ما ينبغي التأكيد عليه هنا، كما ينبغي تذكير القراء بأن بيانات من منظمات دولية حقوقية قد نشرت في حينه تندد باعتقال الإصلاحيين (انـظر الـعـدد ٥٢ مـن الحـجـاز الـصـادر في ١٥/٢/٢٠٠٧، وكذلك انظر متابعة للموضوع في هذا العدد من المجلة).

```
S E C R E T SECTION 01 OF 03 RIYADH 000367

SIPDIS

SIPDIS

E.O. 12958: DECL: 02/24/2017
TAGS: PTER PGOV PREL PINR EFIN KTFN MEPP KPAL SA
SUBJECT: APHSCT TOWNSEND FEBRUARY 6 MEETING WITH FOREIGN
MINISTER PRINCE SAUD AL-FAISAL

REF: 06 RIYADH 9083

Classified By: Ambassador James C. Oberwetter
for reasons 1.4 (b) and (d).

1¶i. (S) SUMMARY: Assistant to the President for Homeland
Security and Counterterrorism Francis Fragos Townsend cover
both counterterrorism cooperation and regional political
issues in her meeting with Foreign Minister Prince Saud
Al-Faisal at his home in Jeddah on February 6. Saud
described the February 2 arrests of ten suspected terrorism
financiers in Jeddah and Medina as a positive step that cou
well result in other leads and arrests. On the proposed
Charities Commission, Saud said that the SAG is leaning
toward establishing a government entity that directly
disburses charitable funds. He characterized engagement wi
Iran as a two-pronged approach involving frank dialogue and
security pressure. 'We will supply the logic and you suppl
the pressure,' he said, adding that the US Navy's recent
strengthening of presence in the Gulf was a good example of
the force element. In response to APHSCT Townsend's reques
to use SAG influence with Arabsat to block Al-Manar
broadcasting, Prince Saud replied that Iranian-financed
```

ولم يقف لقاء تاونسند مع سعود الفيصل على ما جرى في مبنى الخارجية، بل تعداه الى لقاء خاص آخر حضره السفير الأميركي فقط، وفي ذلك اللقاء، وحسب الوثيقة نفسها أعلاه:

أبدت تاونسند قلق الولايات المتحدة حول الضلوع المحتمل للسفير السعودي في الفلبين محمد أمين ولي، في تسهيل الإرهـاب، خصوصاً تدخله لناحية الإفراج عن عنصرين من منظمة الإغـاثة الاسلامية الدولية من السجن هناك في الفلبين. قال الأمير سعود بأن بعض تصرفات السفير ربما خضعت لتقييمات خاطئة أكثر من كونها دعماً مقصوداً للإرهـاب. وأضاف بأن

سعود الفيصل يفاخر أمام مستشارة بوش لمكافحة الإرهاب الأميركية بأنه قد تم اعتقال عشرة إرهابيين، تبين أنهم من الإصلاحيين الذين دافعت عنهم منظمات حقوقية دولية

السفير خضع للتحقيق، ولم يتم العثور على دليل حول تورّطه. وحيث أن مهمته سفيراً في مانيلا ستنتهي خلال شهور عديدة، فإن سعود طلب دليلاً من حكومة الولايات المتحدة على تورّطه. قالت تاونسند بأن حكومة الولايات المتحدة ستتعاون مع المباحث لتقديم الدليل.

بعد ذلـك طـرح الأمـير سعود في اللقاء الخاص مشاكل السفارة السعودية في واشنطن مع البنك الأميركي الذي يدير حساب السفارة. وشدّد على أن البنك الأميركي يفرض رقابة على الحسابات البنكية الخاصة بالسفارة السعودية خارج ما يطلبه القانون الأميركي، ويثير أسئلة غير مناسبة وعدائية. فإذا كان ذلك مبادرة من البنك، يطلب الامـير، تدّخل حكومة الولايات المتحدة. قالت تاونسند بأنها ستنظر في الموضوع.

لقد بذلت العائلة المالكة جهوداً جبارة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، من أجل الحفاظ على علاقات حميمية مع حليفتها وحاميتها واشنطن. وقـد تنازلت السعودية في شتى المجالات السياسية والإقتصادية والأمنية والسيادية بغية تحقيق ذلك الهدف. وفعلاً نجحت في ذلك مـؤخـراً، وتحوّلت آلـة الحرب الأميركية المشؤومة لتوجه الى بلدان أخرى، ونجا السعوديون بفعلتهم.

هجوم الغذامي على الليبرالية السعودية

مطبخ (الداخلية) ولعبة (الجانبي) و(الرئيسي)

عبدالحميد قدس

كانت الساحة الإعلامية والثقافية المحلية مشغولة منذ بدء السنة الهجرية الجديدة بتداعيات المحاضرة التي ألقاها الناقد والدكتور الجامعي عبد الله الغذامي بعنوان (الليبرالية الموشومة) في كلية الآداب بجامعة الملك سعود في ٧ محرم ١٤٣٢هـ - ١٤ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٠، والتي أحدثت ردوداً واسعة في الوسط الليبرالي، فيما اعتبرت أول تحد أيديولوجي يتعرض له التيار الليبرالي من داخله. الحدث بحد ذاته كان تنفيساً لاحتقانات في الوسط الديني السلفي الذي بقي يتلقى الصفعات طيلة الخمس سنوات الماضية، وإن كانت نتيجة أخطاء يتحملها المشايخ دون سواهم، بصرف النظر عن مدى استغلال خصومهم الليبراليين في المعركة المفتوحة بين الليبرالية والسلفية.

الغذامي فاجأ جمهوره وخصومه في محاضرة إتّسمت بما يشبه الإقـرارات الكنسية، حيث تبرأ من إنتمائه الليبرالي. ربما كان مقدّم المحاضرة الدكتور عبد العزيز الزهراني نجح في استدراج الغذامي الى ما يريده، حين وضعه بين نموذجين سلبيين لليبرالية: نموذج الليبرالية التي سمحت بالإساءة للإسلام عبر الرسوم الكاريكاتيرية ونموذج الليبرالية التي ضاقت بمؤسس موقع ويكيليكس ذرعاً وقررت اعتقاله لأنه نشر جرائم الأنظمة الليبرالية. وفي ضوء هذه الرؤية المحقونة بكل الصور السلبية لليبرالية في الغرب، وجد الغذامي نفسه أمام محاكمة غير رسمية، رغم أنه أعدّ نفسه لإلقاء محاضرة ذات طابع أكاديمي محض.

بعد المقدّمة ذات الطابع الشخصي، إستعرض الغذامي تاريخ الليبرالية في إطارها الأيديولوجي والسياسي. أما عن نشأة الليبرالية في السعودية فعزاها الغذامي الى الصحافيين الغربيين الذين جاءوا الى البلاد، والتقوا مع أطياف فكرية متعددة، من بينها المثقفين المصنّفين ليبراليين، وكان ذلك منذ الستينيات الميلادية. ويرى الغذامي بأن الليبرالية هي (مصطلح على فئة لا مصطلح لها، مسمى لمن لا مسمى له)، بمعنى آخر هو (مصطلح مخالف للآخرين).

توقّف الغذامي طويلاً عند منظومة المفاهيم الليبرالية مثل الحرية والمساواة والعدالة، والمقولات الفلسفية التي أضاءت عليها، لجهة بيان نقاط التشابك فيها وعليها، وخصوصاً مفهوم الحرية الذي تدور حوله الليبرالية الغربية، من خلال مقولتي مونتسكيو في الحرية (الحرية هي حقك في أن تعمل كل ما لايضير الغير)، ومقولة الثورة الفرنسية في الحرية (لا حرية لأعداء الحرية) و(يجب إجبار الناس على أن يكونوا أحراراً)، لتكون مدخلاً للحديث عن الليبرالية السعودية.

صادق الغذامي على ماقاله مقدّم المحاضرة حيث الصورة العامة عالمياً (أن الليبرالية رديف للإمبريالية)، وساق أمثلة على ذلك، في ما يشبه الاكتشاف المتأخر لموبقات الليبرالية الغربية في أرجاء مختلفة من العالم.

ربما أصاب الغذامي حين انتقد سلبية الليبراليين في السعودية كونهم لا يقرنون الأقوال بأفعال على الأرض، فهم ينسحبون سريعاً حين المواجهة، أو لايبدون رد فعل إزاء قضايا طالما دافعوا عنها، مثل الانتخابات حتى مستوى الأندية الأدبية، يقول الغذامي (أوقفت الانتخابات في الأندية الأدبية بالمملكة بقرار ولم أجد ليبراليّا واحدًا من الذين يكتبون في الصحف تحت مسمى الليبرالية يستنكر هذا القرار..).

لامس الغذامي الموضوعات التي كانت موضع نقد الليبراليين مثل هيئة الأمر بالمعروف، والمناهج، والغلو، والإرهاب، والأهلّة، واعتبرها موضوعات لا تخص الليبراليين بحيث تمنحهم إسماً خاصاً بهم، لأن هذه الموضوعات من الممكن أن تكون موضع نقد آخرين دون أن يصدق عليهم مسمى ليبرالي.

وفرّق بين أربعة أنواع من الليبرالية: الفلسفية والسياسية والإجتماعية والاقتصادية، وفيما يعتقد الغذامي بأن الليبرالية الفلسفية والسياسية غائبة تماماً في هذا البلد، رأى بأن الليبرالية الاقتصادية القائمة على الفردانية هي موجودة وزاد (بكل شرورها) أيضاً. وزبدة الكلام لدى الغذامي هي أن ليس في المملكة ليبراليون وليس لهم خطاب وأنهم ليسوا قوة تغييرية بالمعنى السياسي، وهذا ما يجعل من استعمال الليبرالية موشوماً، أي أنها إسم ولكن على غير مسمى، بمعنى أنها متناقضة مع ذاتها.



خلف الحربي: الغذامي يريد إرضاء فئة معيّنة

تبدو نزعة التحرر لدى الغذامي في أماكن أخرى، والتي يظهر فيها منعتقاً من هواجس الليبراليين في البوح بأفكارهم في الديمقراطية، ففي واحدة من إجاباته، يمرر موقفاً جريئاً ونقدياً لأولئك الذين يتذرعون بقصور المجتمع عن استيعاب الديمقراطية، ويقول (أقسم لكم بالله مجتمعنا ماهو تقليدي، والذي يقول لم نجهز بعد لاستقبال الديموقراطية، يا أخي جاهزين لنا ١٠٠ عام والله جاهزين لنا ١٠٠ عام وألف عام كمان، وش يعني! مايصير ما إحنا قطيع غنم وإلا قطيع بقر، إحنا بشر يا أخي). وضرب مثلاً بالهند وهي أكثر فقراً وأكثر جهلاً، وفيها كل أنواع الفروق (ومع ذلك ديموقراطية). وكذلك الحال بالنسبة لدول

أخرى مثل بنجلادش. واعتبر الديمقراطية لا تتطلب زمناً محدداً فـ (وقت الديموقراطية كل وقت ووقت الفكر كل وقت، الإنسان بما أنه إنسان هو أرض خصبة تتحرك بخصوبتها..).

وجادل الغذامي أولئك الذين يرون بأن المجتمع ليس مؤهلاً بدرجة كافية لممارسة الديمقراطية، وطبّق ذلك على الأمم الأخرى، فهل قيل للإنجليز في القرن ١٧ بالإنتظار مدة ثلاثة قرون أخرى حتى يكونوا ديمقراطيين، وبالتالي هل نحن بحاجة للإنتظار زمناً طويلاً كيما نصبح ديمقراطيين؟!

يتمسّك الغذامي برأيه في الليبرالية السعودية، ويرى بأن (الليبراليين ـ السعوديين هنا ـ لم يطلقوا على أنفسهم هذا المسمى وإنما هو مصطلح جاء من الخارج). فماذا نسمي المواقع الحوارية السعودية التي أسبغت على نفسها إسم (الليبرالية)، ويشرف عليها صحافيون وكتّاب معروفون، ويشارك في كتابة موضوعاتها الحوارية طيف واسع من السعوديين الذين يقولون عن أنفسهم بأنهم ليبراليون، فكيف لم يعرّفوا أنفسهم وقد فعلوا ذلك، ثم جاءت ردودهم على محاضرة الغذامي لتثبيت النسبة.

ردود الفعل

كان تركي الحمد، الكاتب والأكاديمي الليبرالي، من أبرز الرموز الليبرالية التي تناولها الغذامي في محاضرته، ولذلك كان من الطبيعي أن يكون الحمد من أوائل من يحمل راية الرد على الغذامي، فقد وصف تصريحات الغذامي بأنها مجرد (رأي

أصاب الغذامي حين انتقد سلبية الليبراليين في السعودية كونهم لا يقرنون الأقوال بأفعال على الأرض، فهم ينسحبون سريعاً حين المواجهة

شخصي)، وأن (مستقبل الليبرالية في المملكة مشرق، فهي فلسفة حياة وليست حزباً سياسياً، وتبحث عن كرامة الفرد وحريته..)، وأضاف الحمد أن (الليبرالية تحاول أن تعيد للفرد السعودي كرامته بعد الإرهاصات التي عاشها المجتمع تحت وصاية من يطلقون على أنفسهم مجموعات الصحوة الإسلامية).

وقال الناقد نايف كريري (أخشى أن الغذامي يعيش وسط أزمة فكر، لا يعانيها لوحده في عالمنا العربي، بل يعاني منها كثير من المفكرين والمثقفين، وسبب هذه الأزمة نابع من تردي أوساطنا السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، على حدّ سواء، والحاذق من يستطيع الخروج من هذه الأزمة وعدم تأثير تلك الظروف عليه). واعتبر كريري أن تصريحات الغذامي (لم تأت بجديد، سوى أنه رجل شجاع حينما خرج من وسط التيار، بل صرخ من أعلى قمة في الهرم ليقول لنا إن ليبراليتنا موشومة).

ويشير كريري إلى أن التحولات التي يطالعنا بها الغذامي من فترة لأخرى (ربما تقع في جانب تصفية الحسابات بينه وبين زملائه السابقين، ولذلك قام بشن الهجوم عليهم). ويعلل كريري ذلك بأن الغذامي تراجع عن كثير من أفكاره وقناعاته لأنه سبق أن أعلن أنه يراجع قناعاته باستمرار.

في مقابلة مع موقع (العربية نت) في ٢٦ ديسمبر ٢٠١٠، اعتبر خلف الحربي، أحد أشهر كتاب الأعمدة في السعودية، بأن ما قاله الغذامي في حلقة البيان التالي الأخيرة بقناة (دليل) الفضائية يعكس قبوله باتهامات خطيرة، مضيفاً (الغذامي كان يستقبل كلاماً محدداً ويوافقه، لأجل إرضاء فئة معينة). وقال الحربي بأن ما ذكره في مقاله بصحيفة (عكاظ) في ٢٦-١٢-٢٠١٠ عن الغذامي هو رأيه الذي أجل إعلانه من زمن طويل، مؤكداً أنه لا يعرف الغذامي شخصياً بل يقرأ له منذ فترة طويلة، وأنه منذ تلك الفترة لم ير فيه إلا (العناوين البراقة والفراغ من المحتوى)، مشيراً إلى أنه شخصياً يعلن عن جائزة لمن يخرج بشيء من كتب الغذامي بخلاف العناوين البراقة.

وأضاف الحربي (كنت أتمنى من الدكتور الغذامي الذي يردد دوماً أنه مفكر حر أن يكون كذلك فعلاً وليس قولاً من خلال عدم الصمت على ما قيل عن زملائه من إهانات، متعجباً "كيف قبل الغذامي عبارة العواجي (نشهد أن الغذامي ليس من زوار السفارات ولا رواد البارات)، إذ إن القبول حتى بنفيها هو إهانة فكيف رضي أن يستثنى منها وكأن كل من حوله تتجسد فيه.

واعتبر الحربي أن الغذامي يعاني من تضخّم الذات، ويسعى نحو إرضاء التيار الصحوي (لدرجة أنه عرض مرة إحراق كتبه من أجلهم، كما استنكر أنه قام بالعمرة ولم يقل له أحد منهم (مبروك)، الحداثة محوره، والليبرالية محوره، وكل شيء هو محوره. لو كان مثقفاً حراً لكان كذلك فعلاً.. هذا الرجل بائع عناوين فقط).

في البرنامج التلفزيوني على قناة (دليل) والذي جمع كلاً من الغذامي وعضو مجلس الشورى السابق د. محمد آل زلفة، والكاتب عبد الوابلي، والدكتور محسن العواجي ، أعاد الغذامي اتهامات سابقة لليبراليين السعوديين بأنهم لا يملكون برامج ولا مشاريع سياسية حقيقية، متهماً المتفائلين بمستقبل الليبرالية بأنهم يعيشون وهْم (الحكي) وقال: (أنا مفكر مستقل، ولست مسؤولاً أن يتبنى كلامي فئة ضد أخرى). مضيفاً: (للأسف لم أجد من يطلقون عليهم أنهم ليبراليون).

شهدت الحلقة اعترافات من الوابلي وآل زلفة بأنهما (ليبراليان)، فيما وصف الشيخ محسن العواجي الليبراليين بأنهم أشد عداء من كفار قريش، مشيراً إلى أن (منهم عقلاء يستحقون الاحترام).

ورد على هذه التصريحات الدكتور عبدالرحمن الحبيب قائلاً إن الغذامي كان يتكلم بشكل يوحي بأن الحديث موجه نحو أشخاص معينين، بينما حقيقة الأمر أن الليبراليين يمين ويسار ووسط، والحديث باعتبارهم فريقاً واحداً ليس أسلوباً منهجياً.



الدخيل: لم تكن الحرية يوماً من اهتمامات الغذامي

على مستوى الردود الثقافية الممنهجة، كان من بين أوائل من انبرى للرد على محاضرة الغذامي، أستاذ علم الاجتماع السياسي خالد الدخيل، الذي دخل الى أتون الصراع الأيديولوجي أو التياري في مرحلة متأخرة، ونأى في الوقت نفسه عن الانحباس في شروط التمثّل الفكري الداخلي، ما دفعه للكتابة في صحف خارجية (خليجية على وجه التحديد)، الى أن فسح له في المجال ليكتب في صحيفة الأمير خالد بن سلطان. كتب الدخيل في (الحياة) مقالاً بعنوان (الناقد «الموشوم» ومعركة الليبرالية) بتاريخ ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٠، بدأه بالإقرار بمشروعية سؤال وجود الليبرالية السعودية، قبل أن يثبّت حقيقة كون الليبرالية سلوكاً وفكراً موجودة في السعودية، وأصبحت مندغمة في النسيج الثقافي المحلي الى حد أنها كما يقول (دخلت مرحلة التطبيع)، فقد بات طبيعي إعلان كثير من النساء والرجال الانتماء الى الليبرالية كاتجاه فكري وسلوكي. وهذا للرد على الغذامي الذي يقول أن هناك شريحة ضئيلة العدد لا تمثل إلا نفسها.

الدخيل رد الكرّة الى ملعب الغذامي حين اعتبر كلام الأخير حول الليبرالية الموشومة، على

أساس افتقارها للحيادية والتحامها بالمشروع الامبريالي، يتّسم بالبساطة، وأن ما قاله الغذامي يعتبر مأزقاً لأنه (يتحدث بدافع ما يسميه في مكان آخر، وبسذاجة أيضاً، النسق المحرّك للسلوك)، ولكن الدخيل يرى هذا النسق منطبقاً على الغذامي نفسه، سلوكاً وموقفاً، ويذكّره بالفارق بين الحياد والاستقلالية، حيث الأخيرة موقف، في حين الحياد في الأغلب الأعم إدعاء كاذب، للتنصّل من موقف أو للتغطية على موقف لا يراد له أن يظهر في العلن.



تركي الحمد:
مستقبل الليبرالية مشرق في السعودية!!

كما فرّق الدخيل بين النموذج المثالي والواقع للأيديولوجيات بما فيها الأديان السماوية (ولم يحصل قط أن تطابق النموذج مع الواقع).

وتتصاعد درجة المواجهة الفكرية بين الدخيل والغذامي، من خلال السؤال الملتهب: هل الغذامي نفسه موشوم؟ وهو سؤال بدا كما لو أنه ينزع نحو شخصنة الجدل، بالرغم من المحتوى العلمي والواقعي الذي عرضه الدخيل بعد ذلك، خصوصاً وأن الليبراليين واجهوا هجوماً شرساً من جانب التيار السلفي المتطرّف الذي وصم خصومه الليبراليين بالكفر والعمالة وارتياد السفارات الأجنبية. ثم حدّد الدخيل نقطة افتراق حادة مع الغذامي، وهي الحرية، وقال بأن (قضية الحرية لم تكن يوماً من اهتماماته، أو شاغلاً من شواغله الفكرية والسياسية). وذلك لتبرير لجوئه الى كلمة حق يراد بها باطل (أنا مفكر حر، أنتقد وبس). ولم يتردد الدخيل في توجيه تهمة الممالئة أو التواطؤ للغذامي مع التيار الديني (لم ينتقد الغذامي يوماً الخطاب الديني على مدى مسيرته الثقافية التي تمتد إلى ما يقرب من عقود أربعة. وليته فعل ذلك عن قناعة، قناعة بأسس ومنطلقات الخطاب الديني، وإنما لحساسيات اجتماعية ودينية). وزاد الدخيل على نقد الغذامي بأن حدد بعض سمات شخصيته ومنها (التضخّم الذاتي).

وفي مقالة أخرى لكاتب صحافي خالد الحربي في صحيفة (عكاظ) في ٢٦ ديسمبر الماضي بعنوان (فوكوياما والخلايق نياما!)، وصف فيه الغذامي بأنه (أكبر بائع عناوين في الشرق الأوسط)، وحسب الحربي فإن الغذامي (يقضي الليل بطوله بحثا عن عنوان براق، ثم يقضي النهار بحثا عن طريقة ما تجعل هذا العنوان يدور حول ذاته المتضخمة، باعتباره محور الكون..).

أورد الحربي ما جرى في جائزة الشيخ زايد، التي كان الغذامي أحد مستشاريها، حيث قدّم مؤلف جزائري نصاً مسروقاً مادة كتابه من الغذامي نفسه، واضطر القائمون على الجائزة إلى سحبها من المؤلف، ولم يكّلف الغذامي نفسه قراءة الكتاب المسروق، وحاول الغذامي مداراة بالفضيحة الثقافية بتقديم استقالته فيما يشبه (البحث عن بطولة حتى في لحظة السقوط)!.

تجاوز الحربي محاضرة الغذامي حول الليبرالية الموشومة، بل قدّم ما يشبه محاكمة فكرية مكثّفة لمنتجات الغذامي الثقافية، بدءً من حلقات (القبلية والقبائلية) في صحيفة الرياض، والتي لم يجد فيها الحربي فائدة فكرية (لم أجد فيها أي شيء ذا قيمة سياسية أو فكرية أو اجتماعية أو تاريخية توازي العنوان الكبير)،

> **لكثيرين أن يتوقفوا ملياً أمام صمت الغذامي عن اقترافات التطرّف الديني، فيما يحضر فجأة للإنقلاب على رفاق الدرب انتقاماً لحليف (الداخلية)**

ومروراً بكتاب (حكاية الحداثة) الذي اعتبره مصادرة للأدوار الكبيرة التي لعبها العديد من الشعراء وكتّاب القصة والروائيين السعوديين في تغيير واقع الحركة الأدبية السعودية، لناحية تأكيد نزعة التمحور على الذات وتضخيمها. وصف الحربي الغذامي بأنه (فوكوياما السعودية).

الصحافي في جريدة (الحياة) داود الشريان، كتب في زاويته المتنقّلة (أضعف الإيمان) مقالاً في ٢٧ ديسمبر الماضي بعنوان (الليبرالية في السعودية)، أعاد التذكير بالتهمة التي لاحقت الغذامي منذ زمن وتأكّدت بعد محاضرته الأخيرة وهي محاباة التيار السلفي، وأن المحاضرة ما هي إلا البحث (عن تأشيرة دخول الى تيار الصحوة).

يرى الشريان بأن محاضرة الغذامي (كشفت عن سيطرة الخوف على الساحة الثقافية السعودية)، وأن موقف الغذامي من الليبرالية (جاء في سياق البراءة من الليبرالية، على طريقة البراءة من الكفار، على رغم ان أستاذ الحداثة وصاحب كتاب «الخطيئة والتكفير» استمد موقعه وشهرته من كونه ينتمي الى هذا التيار..). ومع ذلك، فإن الشريان لم يتعامل مع محاضرة الغذامي عن (الليبرالية الموشومة) من منطلق الأحكام الإجمالية، فقد وجد فيها فائدة، ولكن من منظور مختلف. فمن جهة، فإن المحاضرة كشفت عن (أن التيار المتشدد هو الذي يمنح الشرعية للمثقف في السعودية، وفي المقابل، كسرت المحاضرة جدار الخوف الذي قيّد حركة الليبراليين في المجتمع السعودي، فأصبح موقف الغذامي مناسبة لاعتراف عدد كبير من المثقفين السعوديين بأنه ليبرالي..).

ما تلزم الإشارة اليه أن ثمة اتهامات قديمة أحاطت بالغذامي وارتباطاته بوزارة الداخلية، وأن نفي ارتياده السفارات الأجنبية لا يعفيه، بحسب مطلعين على خفايا الأمور، من كونه جزءً من شبكة تحالفات السلطة، وهي نفس التهمة التي أحاطت بالشيخ محسن العواجي الذي بدا محابياً للغذامي في حلقة قناة (دليل). أن يتوارى الغذامي في لحظات تتطلب حضوراً وكثيفاً ويحضر في لحظة يجوز فيها التواري والغياب لاشك يثير سؤالاً كبيراً عن دور المثقف، ولكثيرين أن يتوقفوا ملياً أمام صمت الغذامي عن اقترافات التطرف الديني في السعودية، فيما يحضر فجأة كيما ينقلب على



العواجي: الليبراليون أشدّ عداءً من كفار قريش

رفارق الدرب، ويحيل معارك الأفكار الى منازلة مع الأشخاص، في عملية تهديم مقصودة إنتقاماً لما أصاب حليف (الداخلية) السلفي من أضرار بالغة نتيجة انتقادات (الليبراليين) لمشايخ قدّموا أخطاءهم مبررات للهجوم عليهم، فصار لزاماً تسديد ضربة قاصمة أو على الأقل موجعة للتيار الليبرالي من داخله، زعماً، لجهة مشاغلته ثقافياً وربما سياسياً، وأيضاً أمنياً، فمطابخ الدولة باتت تعمل على مدار الساعة للبحث عن كل ما يصلح لأن يكون (جانبياً)، من أجل صرف الأنظار والاهتمامات عن كل ما هو (رئيسي)..والغذامي في معركته كان على الدوام جانبياً، ولكن هناك من أراد له أن يكون رئيسياً.

الكراهية الدينية، الطائفية، والتحريض على القتل

المرجعية الوهابية لتنظيمات القاعدة

الجزء الأول ـ كتائب عبدالله عزّام

سعد الشريف

بات ملحوظاً نزوع القاعدة نحو الإنغماس في النزاعات المحلية في أكثر من بلد عربي وإسلامي، وقد واجهت، أي القاعدة، في السنوات الأخيرة إتهامات بالضلوع في مؤامرات خارجية أو التواطؤ مع أنظمة طالما وصمتها بـ (الكفر) أو الموالية للكفار من اليهود والنصارى، بحسب الأدبيات القاعدية. هناك أحاديث في اليمن، على سبيل المثال، عن دور لتنظيم قاعدة الجهاد في الجزيرة العربية في حروب النظام اليمني مع الحوثيين، وفي اختطاف الأجانب، وحتى في استدراج الدعم من السعوديين والأميركيين عبر تصعيد خطر القاعدة، وهناك أحاديث عن دور لتنظيم (كتائب عبد الله عزام) في التجاذب السياسي الداخلي بين الموالاة والمعارضة في لبنان على خلفية المحكمة الدولية، والخطاب الطائفي المتصاعد والمتناغم بين قيادات القاعدة في لبنان وقيادات في (تيار المستقبل)، وهناك أكثر من حديث عن روابط سرّية ومشبوهة لتنظيمات قاعدية مع أنظمة عربية ودولية لها أجندات خاصة في العراق، ما يثير أسئلة عن حقيقة مايجري خلف الستار، مع تعطيل دور القيادات العليا للقاعدة، حيث تتحوّل الفروع إلى أوراق في (لعبة أمم) محدودة أو واسعة النطاق.

وإذا ما فتحنا الأفق على أدوار سابقة للقاعدة مع البعثيين في العراق في علاقة غير شرعية أفضت الى سفك دماء الأبرياء في شوارع وأسواق ومدارس العراق، فإن ثمة كلاماً طويلاً يجب أن يصل إلى أسماع من لا يزالون يترددون في وضع الإصبع على نقطة الجدل الحقيقية، خصوصاً بعد تفجيرات سيدة النجاة في بغداد، والكنيسة القبطية في الاسكندرية، والتي تثير، دون ريب، سؤالاً مشروعاً وكبيراً عن مشاريع التفتيت الخفيّة، وكأن (القاعدة) يراد لها أن تتحوّل الى أداة تشظي فاعلة في الأمة على اختلاف مكوّناتها القومية، والدينية، والمذهبية، فقد أوهمت أنصارها الظاهرين والباطنين بالمتعالي لتخوض معارك الفروع والدنى.

فالقاعدة تشعل معركة الطوائف والأديان في كل مكان تتواجد فيه بدءً من الهند ما دفع بكبار المراقبين لأن يتوخوا الحذر من دور للقاعدة في تفجير حرب كبرى بين الهند وباكستان، خصوصاً بعد هجمات ديسمبر (كانون الأول) العام ٢٠٠٨ على فندق (تاج محل) في مومبي والذي أودى بحياة العشرات، ومروراً بباكستان التي تضع الوهابية بصمتها الحمراء في تصفيات السنة والشيعة تحت مسميّات متعددة، والعراق الذي كادت الفتنة المذهبية تفضي الى تفكيكه، وصولاً الى لبنان الذي دخلت الفتنة الطائفية إليه عبر تنظيم (فتح الإسلام) القاعدي الذي كان فيه للعناصر للسعودية، مقاتلين وممولين وقياديين، حجمٌ وازنٌ، وجاء دور (كتائب عبد الله عزّام) كوارث فتنوي لسابقه القاعدي (فتح الإسلام)، لاستكمال ما فشل الأخير في تحقيقه.

كل الحالات، مهما تشابهت من حيث الاستهدافات والنتائج الدموية، تنبيء عن نفور في السياق الموضوعي، فكل التجارب القاعدية في شبه القارة الهندية، أو في الجزيرة العربية، أو في بلاد الشام والعراق أو في شمال أفريقيا، وصولاً الى الشيشان وقرغيرستان والبوسنه والهرسك هي ليست منتجات أصيلة وليست منسجمة مع التاريخ والهوية والثقافة المحلية، بل جرى تهريبها مع منتجات أخرى جرى السماح بدخولها منفردة، ولكن مالبثت أن كشفت عن ملامح، وغايات أخرى كانت مكتومة. لخص أحد المراقبين ذلك بأن السعودية حاربت العنف في الداخل ولكنّها شجّعت على هجرته للخارج، فالفائض من التشدّد المنتج وهابياً جرى نقله الى الخارج مع منتجات أخرى تبدو عادية أو لا تشكّل خطراً على البلدان المضيفة. فماذا سيشكّل بناء، على سبيل المثال، مسجد للمسلمين في الشيشان، من خطر على الأمن والاستقرار في هذا البلد؟ ومن السذاجة بمكان تقديم إجابة بريئة على سؤال ليس بريئاً البته. فالمسجد قد جرى تحويله الى وظيفة غير عبادية، ولا حتى إجتماعية، بمعنى معالجة مشكلات المسلمين الاقتصادية والاجتماعية وحتى الدينية، أو المساهمة في تحقيق مفهوم الاندماج مع المكوّنات الاجتماعية والدينية الأخرى وصولاً الى تحقيق مبدأ الدولة التعاقدية. لا، ليس الأمر على هذا النحو، فقد جرى تحويل المساجد والمراكز الدينية، كما الجمعيات الخيرية أحياناً، الى سواتر لمهمات قتالية، وإذا ما طرأ عامل خارجي، متمكّن في مجال استغلال (فائض الغباء) لدى الإنتحاريين المجانيين، فإن بنك الأهداف يبدو أجنبياً بامتياز.



الكتائب وارثة (فتح الإسلام)

في ضوء ما سبق يمكن قراءة تجربة (كتائب عبد الله عزام)، كأحد أذرع تنظيم القاعدة. ونحاول هنا اقتفاء جذور هذه التجربة، وتكوينها التنظيمي، ومصادر الإلهام التي تستمد منها رؤى، ومواقف، واستراتيجيات في التغيير والمواجهة مع الخصوم. وأول سؤال تثيره هذه التجربة يتّصل حميمياً بالعلاقة بين التنظيم والبيئة التي نشأ فيها أو بالأحرى برز فيها، لأن النشأة قد تشير الى علاقة مشروعة بين التنظيم والأرض، أو بكلمات أخرى قد تعني ولادة طبيعية له، بينما البروز قد يعني غير ذلك.

لئن إتفقنا على التباين بين نشأة وبروز (كتائب عبد الله عزّام)، لا يمكن أن تكون، على سبيل المثال، بيئة لبنانية بأطيافها الدينية (السنيّة على وجه التحديد) تنبثق منها بيانات حملت عنواناً قرآنياً (ولتستبين سبيل المجرمين)، الصادرة بإسم كتائب عبد الله عزام، الأب الروحي والملهم الجهادي لتنظيم القاعدة، ما لم يكن عنصر خارجي قد طرأ على البيئة اللبنانية، وكذلك على بيئات أخرى مماثلة أو متقاربة من حيث شروط

التحوّل الاجتماعي والثقافي للدول والمجتمعات. نشير هنا الى ما ذكره الشيخ عمر بكري، الداعية والناشط السلفي القريب من فكر حزب التحرير، قبل أن يقترب فكرياً، بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، من تنظيم القاعدة، في مقابلة مع قناة (الجديد) اللبنانية في ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٠، من أن (كتائب عبد الله عزام) المقربة من تنظيم (القاعدة) قد تكون مخترقة أمنيا لافتاً إلى أن (البيانات الأخيرة للكتائب تركز على موضوع واحد وهو الهجوم على حزب الله وعلى مخابرات الجيش اللبناني من دون التعرض بمثل هذه النوعية من الهجوم لباقي القوى الامنية).

سلوك الجماعة لا يتطلب كبير جهد لتحديد الوجهة السياسية التي تنتمي اليها، أو على الأقل تخدمها، هذا ما تكشف عنه قائمة الأعداء التي رصدتها الكتائب في بياناتها (سوريا، إيران، المعارضة في لبنان بكل خلفياتها الدينية والمذهبية، الجيش اللبناني) ليسهّل مهمة اختبار المرجعية ليس السياسية فحسب، بل والأيديولوجية، لأن ثمة معجمية خاصة لا يتقنها سوى المتحدّرون من المدرسة السلفية بثرائها الخصامي، ذاك الذي ينضح من بيانات التنظيمات الفرعية للقاعدة خصوصاً (تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب) في اليمن والسعودية، و(كتائب عبد الله عزّام) في بلاد الشام، وتنظيم (دولة العراق الاسلامية).

كتائب عبد الله عزام.. من مصر الى العراق الى بلاد الشام

برز إسم كتائب عبد الله عزام أول مرة بعد إعلانها مسؤوليتها عن تنفيذ هجمات منتجع طابا في مصر في ٧ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ٢٠٠٤، عن طريق سيارة مفخّخة أمام فندق هيلتون طابا، بالإضافة إلى انفجارين آخرين، نجم جميعها عن قتل ٣٠ شخصاً وإصابة أكثر من مائة آخرين، وكان أغلب الضحايا من السيّاح الأجانب. لم يتم التعامل، حينذاك، مع إسم كتائب عبد الله عزّام بصورة جديّة، ولربما نظر إليه كثيرون على أنه مجرد إسم وهمي لإخفاء هوية الجهة الضالعة في التفجيرات، بالرغم من الإشارة البالغة التي تحملها الى كون عبد الله عـزّام هو أحد الشخصيات الملهمة لتنظيم القاعدة، ولكن في تفجيرات شرم الشيخ في ٢٣ يوليو (تموز) ٢٠٠٥ بدا واضحاً بأن الجماعة بعثت برسالة مباشرة إلى من يهمه الأمر بأنها تنظيم حقيقي. ومع ذلك، هنـاك مـن المراقبين لنشاطات الجماعات الجهادية والقاعدية من توقّف أمام هذه الظاهرة الجديدة، التي ربما زادت الشكوك حولها حين اختفت مجدداً في مصر، لتظهر في العراق في وقت لاحق كجماعة قتالية بإسم (كتيبة عبد الله عزام) كأحد أذرعة جماعة أطلقت على نفسها (كتائب ثورة العشرين)، وقامت بتنفيذ عملية تفجير في عدد من المدن العراقية من بينها العاصمة بغداد، مع ما قد يتردد من تشابكات في الأسماء لتنظيمات فرعية متعدّدة، ترتبط جميعها بالتنظيم الأم.

التجارب القاعدية في بقاع عديدة في العالم ليست منتجات أصيلة بل جرى تهريبها مع منتجات أخرى جرى السماح بدخولها منفردة

برز تنظيم بإسم (تنظيم القاعدة في بلاد الشام وأرض الكنانة/ كتائب الشهيد عبد الله عزام)، بعد إعلانه مسؤوليته عن إطلاق ثلاث قذائف صاروخية من نوع كاتيوشا (بإستهداف تجمع للبوارج الحربية الأميركية الراسية في ميناء العقبة إضافة إلى ميناء إيلات) في ١٩ آب (أغسطس) ٢٠٠٥، وقد أفادت التحقيقات الأولية بأن الصواريخ أطلقت من سطح أحد المخازن التجارية في المنطقة الحرفية (حوالي ثمانية كيلو مترات) شمال الميناء، فيما أفادت مصادر أخرى بأن الصواريخ أطلقت من أحد المستودعات في إحدى مناطق العقبة حيث أصاب أحدها مستودعاً للقوات المسلحة الأردنية يقع على رصيف الميناء تسبب في مقتل جندي وإصابة آخر بجروح، فيما انفجر الصاروخ الثاني قرب المستشفى العسكري في حين انفجر الثالث في منطقة إيلات الإسرائيلية. وقال مصدر أمني أردني بأن البحث جار عن سوري وعراقيين في العقبة استخدموا لوحة أرقام سيارة كويتية.

وفي منتصف أغسطس (آب) ٢٠٠٥، أعلنت جماعة حملت نفس الإسم (كتائب عبد الله عزّام) مسؤوليتها عن ضرب ناقلة يابانية بواسطة قارب محمّل بالمتفجّرات عند مضيق هرمز، وأعلن عن إسم منفّذ العملية (أيوب الطيشان) والهدف كان بحسب بيان صادر عن المجموعة (توجيه ضربة إقتصادية) إلى ما أسمته (نظام الكفر العالمي) الذي (يغزو البلاد الاسلامية ويستنزف ثرواتها).

الإعـلان المتكرّر عن إسم (كتائب عبد الله عـزّام) في مصر والعراق والأردن، قد يلقي شكوكاً ليس على هوية الكتائب، فالثابت أن جميعها ينتمي الى تنظيم القاعدة، فكراً وسلوكاً، ولكن الشكوك تحوم حول ما إذا كانت جماعة واحدة أو جماعات عدّة، تحمل الإسم ذاته. ومهما اختلفت الإجابات، فإنه وبحسب تقارير إعلامية سابقة، فإن (كتائب عبد الله عزام) بزغت من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، يقودها السعودي صالح القرعاوي، الذي شارك في قتال القوات الأميركية في العراق، وكان على صلة وثيقة مع زعيم تنظيم القاعدة في العراق، أبو مصعب الزرقاوي. وقد يكون تاريخ تشكيل الكتائب مختلفاً، نظراً للطبيعة السائلة لتنظيم القاعدة، فقد يضمحل تشكيل قاعدي ويرثه تشكيل آخر، وإن هي إلا أسماء متعدّدة مع وحدة الأفراد، والايديولوجيا، والتكتيكات.

يفرض الكلام عن الكتائب إضاءة مباشرة على شخصية القرعاوي، القائد الميداني لكتائب عبد الله عزّام. وكان صالح بن عبد الله بن صالح القرعاوي (٢٨ عاماً) قد غادر المملكة في العام ٢٠٠٦، وسافر للشام قبل ذلك واعتقلته السلطات السورية، والتي سلّمته للسلطات السعودية وتم توقيفه لنحو أربعة أشهر، ثم أطلق سراحه، ومالبث أن غادر المملكة، والتحق بتنظيم القاعدة في العراق. ويعتبر القرعاوي من أخطر العناصر السعودية في الخارج ويوصف بأنه (من أهم مقدّمي التسهيلات والدعم المالي والتزوير وتنسيق سفر عناصر ومطلوبين من التنظيم الإرهابي للخارج). وكان يقوم بتهريب أشخاص الى العراق للالتحاق بتنظيم القاعدة.

القرعاوي هو خريج المعهد العلمي المختص بالدراسات الدينية في بريدة، ومنذ العام ٢٠٠٣ أصبح مداوماً على حضور الحلقات الدعوية وكان من تلاميذ أحد رجال الدين الملهمين لتنظيمات القاعدة في الجزيرة العربية وهو الشيخ سليمان العلوان، قبل اعتقاله بتهمة التحريض على الجهاد ضد الدولة. عمل القرعاوي ضمن لجنة المساجد والمشاريع الخيرية، وكان حينذاك يقوم بأعمال قاعدية كتوزيع مجلة (صوت الجهاد) الناطقة بإسم تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية، وعزم على السفر الى العراق عبر سوريا ولكنه أوقف وجرى تسليمه الى السعودية، وسجن ثم أطلق سراحه، وغادر بعدها الى العراق ليبدأ مرحلة جديدة يكون فيه أحد العناصر القيادية في تنظيم القاعدة في بلاد الشام.

وكان القرعاوي قد غادر إلى الإمارات في ٢٩ شعبان ١٤٢٧هـ الموافق ٢٣ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٦، حيث تلقى تدريبات مكثّفة على الالكترونيات واستخدامها في عمليات التفجير، وحاول توحيد فروع تنظيم القاعدة في العراق ولبنان، وعمل نائباً لمسؤول التنسهيلات للتنظيم (ياسر السوري)، وله

علاقات وثيقة مع تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب. ونجح القرعاوي في تهريب بعض المطلوبين من داخل المملكة الى العراق، وكذلك انتقال عناصر من المملكة الى لبنان للإلتحاق بـ (كتائب عبد الله عزام). نشير الى أن تاريخ خروج القرعاوي من المملكة يقع قبل فترة قصيرة من المواجهة العسكرية بين تنظيم (فتح الإسلام) والجيش اللبناني في مخيم نهر البارد، حيث شهدت تلك الفترة خروج عدد كبير من العناصر السعودية القاعدية عبر مطارات الإمارات والبحرين والتحقت بالتنظيم في القتال ضد الجيش اللبناني.

تاريخ خروج القرعاوي من المملكة يقع في فترة خروج عشرات من عناصر (فتح الإسلام) من السعوديين الى لبنان عبر الإمارات والبحرين

وبحسب أسرة القرعاوي، فإنه تزوج من إبنة القيادي الميداني في تنظيم القاعدة المصري محمد خليل الحكايمة (أبو جهاد)، الذي قتل في ضربة صاروخية أمريكية نفّذتها طائرة من دون طيار في المنطقة القبلية الباكستانية.

وقد نشرت صحيفة (عكاظ) في ١٥ سبتمبر ٢٠٠٩ بأن صالح عبد الله صالح القرعاوي، المطلوب أمنياً في قائمة الـ ٨٥، قام في ٤ سبتمبر (٢٠٠٩) باتصال هاتفي بعائلته التي تقطن مدينة بريدة في منطقة القصيم (بعد انقطاع لنحو عامين). وقد أثار الاتصال علامات استفهام عدّة من حيث توقيته وظروفه، كونه جاء بعد إسبوع من فشل محاولة اغتيال الأمير محمد بن نايف. وروى عبد الرحمن شقيق صالح القرعاوي تفاصيل الإتصال حيث أبلغه الأخير بأنه (يتّصل من أفغانستان).

في مقابلة أجراها (مركز الفجر للإعلام) التابع لـ (كتائب عبد الله عزام) مع القرعاوي في شهر إبريل ٢٠١٠، حول (رؤيته للصراع في بلاد الشام) جرى الحديث عن ساحتين: الجزيرة العربية (جزيرة محمد صلى الله عليه وسلم بحسب نص المقابلة)، وبلاد الشام (معقل الطائفة المنصورة أرض الشام، وأيضاً بحسب نص المقابلة). وكشف القرعاوي بأن الزرقاوي كلّفه للقيام بمهمة خارج العراق. ولكن تم اعتقاله في سوريا وجرى تسليمه للسلطات الأمنية السعودية، وتم إيقافه مدّة يسيرة وخرج من السجن ليعود الى العراق مع عدد من رفاق دربه بعد الإفراج عنهم (فقررنا خروج الإخوة من الجزيرة وإعادة الكرة فيما بعد، كما خرج محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة ورجع إليها فاتحاً..) ويبلغ عدد من خرج أكثر من خمسة عشر عنصراً.

ورغم أن القرعاوي لم ينف تهمة خطف الأجانب واستهداف المصالح الأجنبية، بل اعتبر (المصالح الأميركية) هي من أهم أهداف التنظيم، إلا أن البيانات الأخيرة التي صدرت عن (كتائب عبد الله عزام) في بلاد الشام تكشف بوضوح عن أن ثمة استراتيجية جديدة وربما تكون طارئة للتنظيم، وقد تكون على صلة بأوضاع لبنان، وتحديداً المحكمة الدولية.

عرّف القرعاوي (كتائب عبد الله عزّام) بصواريخ أطلقوها على شمال فلسطين المحتلة، وقسمّها الى عدّة سرايا منها سرية (زياد الجراح) لضرب اليهود في فلسطين، فتم إطلاق صواريخ على فلسطين المحتلة في ٢٨ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٠٩. ووصف القرعاوي العملية بأنها (خرق الحصون)، في إشارة الى حزب الله وقوات اليونيفيل ومخابرات الجيش اللبناني.

بدا القرعاوي كما لو أنه يحاول، ظاهراً، تفادي الإنغماس في الشأن اللبناني على أساس أن أولويات الكتائب هي (توعية المسلمين عقدياً وسياسياً وتجييشهم ليقوموا بدورهم في معركة الأمة مع القوى الصليبية واليهودية الغربية، وقتال اليهود لتخفيف الضغط على إخواننا المسلمين في غزة وإعانة لكل من يحمل سلاحه لقتال اليهود لإعلاء كلمة الله ونصرة المستضعفين). ولكن الاجابات اللاحقة والبيانات الثلاثة من سلسلة (ولتستبين سبيل المجرمين) تعكس انخراطاً كثيفاً لدى القرعاوي وكتائبه في الشأن اللبناني، بل توارت الساحة الأخرى، أي (جزيرة محمد)، ولم يعد هناك سوى لبنان، ساحة حرب، بما يوحي وكأن ثمة أجندة جرى تعديلها أو بالأحرى إعدادها لهذه المجموعة كيما تقوم بها في مرحلة قريبة.

القرعاوي الذي بدا وكأنه يقف وراء البيانات الثلاثة، بحسب ما تكشف عنه محتويات ولغة المقابلة، هاجم الجيش اللبناني، وقال بأنه يكيل بمكيالين، وأنه (يعامل أهل السنة في لبنان بالبطش والقتل والتعذيب والسجن والقهر والمداهمات..)، وأنه (خاضع للنفوذ الشيعي المتمثل في حركتي حزب الله وأمل برعاية إيرانية سورية..). وهاجم أيضاً قائد الجيش بعد أن قال بأن من قام باطلاق الصواريخ على فلسطين المحتلة بأنهم مشبوهون وعملاء. وشنّ هجوماً شرساً على الشيعة وحزب الله واعتبر كل المواجهات بين الأخير والكيان الاسرائيلي هي مؤامرة متفق عليها بين الطرفين، وأن حزب الله يمارس دور حراسة الحدود الاسرائيلية، ويحاول التضييق على أهل السنة في لبنان. من اللافت أن القرعاوي وضع من بين أهداف تنظيمه (إحياء الإنتماء لأهل السنة في قلوب الشباب..)، في إشارة واضحة الى مفهوم محدد لدى القرعاوي، يستبعد منه كثيرين بمن فيهم حركات المقاومة السنيّة في فلسطين التي يضعها في خانة (حرس الحدود) وينسحب ذلك على حركة حماس في غزّة بقوله (وترون الفرق بيننا وبين من يدعي النصرة وحقيقته أنه من جند اليهود وحرّاس الحدود، فلا هو بالذي ساهم في تخفيف الحصار عنكم بإطلاق صاروخ واحد على اليهود من ترسانته المتخمة بأحدث الصواريخ وأقواها، ولا هو بالذي تركنا نعمل على ذلك، بل هو يشتد في طلبنا والتضييق علينا حماية للحدود مع اليهود، فاعرفوا هؤلاء واكشفوا حقيقتهم للعامة..).



السعودي صالح القرعاوي، قائد الكتائب ومنظرها

بيانات (ولتستبين سبيل المجرمين)

في البيان الأول لكتائب عبد الله عزام بعنوان (ولتستبين سبيل المجرمين) يبدأ بالمقطع التالي:

(فتدنس أرضُ لبنانَ الأسيرةُ اليوم بمقدم غيرِ ميمون، للرئيس الإيرانيِّ أحمدي نجاد، الذي قدم متفقّداً الأرضَ التيَ أقطعه إياها الصليبيون، في صفقة خسيسة آثمة بين إيران الصفوية المتمددة الطامعة، وأمريكا الصليبية المنسحبة الحسيرة؛ فلبنان وغيرها هي المثمن، وتحمل إيران لمشاقّ الحرب على الإسلام هو الثمن، وأهل السنة هم الشاهد الغافل الخاسر إن سكت وظل معلقاً أمله على عدوه وعملاء عدوه، ورضي بالتبعية لمن يقتسمون السيطرة

عليه، وأبى أن ينتزع حقَّه واستقلال قراره بيده وبجهد أبنائه).

لغة يدرك المراقب لحركة التاريخ والثقافة والإجتماع في لبنان، أنها لا يمكن أن تنتمي اليه في أي لحظة، وأنها لاشك قد دخلت خلال سنوات قليلة لا تتجاوز الخمس أو الست سنوات. وهي دون ريب لا تنتمي إلى تجربة الحركة الاسلامية السنيّة في الشمال اللبناني التي كانت وثيقة الصلة بتجربة حركة الإخوان المسلمين أو إلى حد ما حزب التحرير (رغم نجاحاته المحدودة)، وبالتالي فالحديث يدور عن ثقافة إرتبطت على وجه التحديد بحركة الصحوة السلفية التي انشقت في مرحلة لاحقة عن تنظيم القاعدة.

مصطلح (السنّة) بغزارته الطائفية، ورد نحو ١٣١ مرة في البيانات الثلاثة، محمولاً على لغة طائفية تحريضية، لا تعكس بحال ثقافة أصيلة. بل إن المراقب لكثافة البيانات وشحنات الطائفية المندّسة فيها يدرك بأن ثمة جماعة خارجية تسللت الى المجتمع الإسلامي السني اللبناني وفرضت نفسها عليه كناطق قهري بإسمه، وممثلاً عنه. لا شك، أن في الطبقة السياسية السنيّة المقرّبة من الحكومة من ساعد الجماعة السلفية القاعدية القادمة من الخارج على الإضطلاع بدور كهذا. ولا يستبعد أن تكون (كتائب عبد الله عزّام) هي النسخة المعدّلة وراثياً لتنظيم (فتح الإسلام) الذي يعتبر ورقة محروقة لبنانياً، بعد دخوله في مواجهة مسلّحة مع الجيش اللبناني في العام ٢٠٠٧.

حملة انتقادات القرعاوي شملت أهل السنّة في لبنان الذين وصفهم بالخونة والعملاء، لأنهم رفضوا مشروع الفتنة ومحاربة شركائهم في الوطن

في البيان الأول لكتائب عبد الله عزّام والصادر في ١٣ أكتوبر ٢٠١٠ ثمة نبوءة ذات طبيعة إيحائية بأن مواجهة حتمية بين السنّة والشيعة (وإننا في كتائب عبد الله عزام نتوقع أن المعركة قادمة لا محالة..)، فيما يتم توظيف التحذير من الفتنة الذي أطلقته قيادات سورية ولبنانية محسوبة على حزب الله لتعزيز النبوءة القاعدية، وكأنها تفصح عن استبطانات سابقة لمعركة يراد إشعالها، حيث يرسم البيان صورة طائفية للمعركة، تكون فيها إيران وسورية وحزب الله طرفاً في مقابل أهل السنّة، فيما يخرج العاملان الأميركي والاسرائيلي من المعادلة، في إيحاء واضح بأن المعركة يراد لها أن تكون طائفية بحت.

نظرت (كتائب عبد الله عزام) الى زيارة الرئيس الايراني أحمدي نجاد الى لبنان على أنها (التوقيع على قرار الشروع في إبادة أهل السنة)، فهل تكون زيارة رجب طيب اردوغان، رئيس الوزراء التركي، الى لبنان للتوقيع على قرار الشروع في إبادة أهل الشيعة مثلاً، باستعمال نفس المنطق؟!.

ينسج البيان، وهذا يشي بمنزع سلفي/ وهابي سافر، قصة المؤامرة الصهيوصليبية والشيعية ضد أهل السنّة، وهي مؤامرة يتقن الوهابيون في وسط الجزيرة العربية دون سواها من مناطق العالم تصميمها، حتى صارت دليلاً إرشادياً لا يخيب إلى مصدرها. فهم يضعون المواجهة بين حزب الله والكيان الاسرائيلي في سياق لعبة متفق عليها بين الطرفين، وكذلك المواجهة بين الولايات المتحدة والغرب عموماً من جهة وإيران من جهة ثانية، بل إن المواجهة بين معسكر الممانعة بكل أطيافه السنيّة والشيعية من جهة والغرب والكيان الاسرائيلي من جهة أخرى لا تعدو أن تكون لعبة تواطؤ بين طرفين..فما هو موقع معسكر الإعتدال في هذه المعادلة؟!

في البيان رقم (٢) من سلسلة (ولتستبين سبيل المجرمين) بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٠، وهو عبارة عن رسالة من (صالح بن عبد الله القرعاوي) إلى أهل السنة في بلاد الشام. يبدأ القرعاوي رسالته الى (أهل السنة والجماعة في بلاد الشام) بحسب البيان، بالتعريف بنفسه لا من خلال الهوية ولكن من خلال الرسالة التي يحملها (..وليست تحلو الدنيا في عيني، ولو حزتُها كلها، وأنا أرى قومي وأهلي يتسلّط عليهم عدوّهم، فيمنعهم من دينهم، ويسلب منهم دنياهم، وكيف ينامُ ذو المروءة ولو ملك الدنيا كلّها، وأهله مستضعفون يعيشون الذلَّ والهوانِ، يُسَجَّنُ أبناؤهم، ويُهانُ شيبُهم، ويُخرجونَ من أرضِهم، وتؤكلُ حقوقُهم كلها؟..). من يتأمل في طريقة صوغ البيان، والسبك لابد أن يستحضر أسلوب الخلفاء والمصلحين الذين جاءوا لأقوامهم برسالة إنقاذية وتحذيرية (..فاسمعوا مني وتأمّلوا في خطابي، فإن وجدتم كلامي كلام نصح ورشد وهدى فخذوه، وإلا يكن كذلك فاطرحوا، لكن ليكن حكمكم بنظر متجرِّد في طلب الرشد، ولا يؤثِّر فيه ما يلقيه إليكم شياطين الإنس الذين يزعمون أنّهم إخوانكم..الخ).

البيان يحمل تحريضاً واضحاً ضد النظام في سورية وينسحب ليشمل الشيعة عموماً (ويكون الدين لله، إذا ارتفع تسلط الظلمة ـ من الباطنية والشيعة وغيرهم ـ عن أهل الإسلام وبلاد المسلمين..) وفي مكان لاحق يلفت القرعاوي الى حال أهل السنّة (ونحن إذا نظرنا الى أحوال أهلنا في لبنان وسوريّة وسائر بلاد الشام، وجدنا أنهم من أعظم الطوائف المظلومة المستضعفة في هذا الزمان، فالظلمُ نازلٌ بهم بكل صوره، وبأعظم مستوياته؛ فهو ظلمٌ في الدينِ وظلمٌ في الدنيا؛ على يَد الطوائف المهيمنة علَى عباد الله في أرض الشام، الناهبة لثرواتها، المفسدة لها؛ منَ الباطنية العلوية والشيعة الصفويّة..). والبيان يستهدف، كما أسلفنا، ثلاث جهات: حزب الله، والنظام السياسي في سورية، والجيش اللبناني، كما يظهر من الأسئلة الاستنكارية التي أوردها في بيانه.

تبدي لغة البيان الثاني إشارة ذات إيحاءات سياسية لبنانية خاصة. ولنتأمل في هذه الفقرة (يا أهلَنا أهلَ السنة والجماعة، لقد سمعتُم ما صدَرَ من أقطابِ ما يُسمَّى بالمعارضة أخيرًا من رفضهم التعاملَ معَ المؤسساتِ الأمنية لمخالفيهم، وطَلَبِهم التمَرُّدَ عليها، وعدمَ الاستجابة لها، وأنها ما هي إلاّ عصابةٌ ومافياتٌ كما ذكروا، فإن كان ما ذكروه حقًا من كونها مافيات؛ كان من حقِّهم أن يَدعوا لذلك جلبًا لمصالحِ طوائفهم..)، وهنا يميل القرعاوي الى الكشف عن ميوله السياسية لبنانياً، فهو يدخل في لعبة الاصطفافات، ويضع نفسه في معسكر الموالاة في مقابل معسكر المعارضة، كما ينبىء دفاعه عن قوى الأمن الداخلي (بقيادة سنية)، في مقابل الجيش، وخصوصاً جهاز المخابرات التابع له (بقيادة شيعية). يقول القرعاوي (فندعوكُمْ إلى مقاطعة المؤسساتِ الظالمة لكُم والمضيعة لحقوقكُمْ أيًّا كان انتماؤها، وبخاصة مخابراتِ الجيشِ وعساكرَه؛ فلترفضوا التعامُلَ مع حواجزه، ولتدعوا إلى عدم الانصياع لمطالبه..)..حاول القرعاوي نفي الاصطفاف السياسي عن كتائبه في مكان لاحق، معتصماً بدعوى الدفاع عن أهل السنة في بلاد الشام، ولكن البيان برمته يفصح عن حقيقة أخرى، وهي أن مضمون البيانات الصادرة عن كتائب عبد الله عزام تلفت إلى جنوح سياسي واضح نحو فريق ١٤ آذار الحاكم، وأن الكتائب نفسها تحوّلت الى أحد الأدوات الرئيسية في المعركة/الفتنة الداخلية التي يجري تحضيرها لمرحلة مابعد صدور القرار الظني.

وما هو أهم، أن هوية القرعاوي السعودية تتوارى هنا، في محاولة لإعادة تموضع وافتئات على السنّة في لبنان. يبدو القرعاوي كما لو أنه بات لبنانياً، أو ممثلاً مستعاراً إن لم يكن قهرياً لأهل السنة في لبنان. فالرجل يستخدم عبارات حميمية من قبيل (أهلنا)، و(نحن) بنيّة مبيّتة بمصادرة حق الإختيار لدى السنّة في لبنان، عبر النطق بإسمهم وتخويل نفسه حق تشخيص مظلومية السنة وتحديد خياراتهم السياسية أيضاً.

عوداً الى محتويات البيان، نقرأ عن سورية، التي وصفها بالأسيرة

فقال عنها القرعاوي بأنها (القائد الميداني للمعركة في بلاد الشام عموماً، وفي لبنان بنحو مؤثر، وأمن لبنان واستقراره مرتبط بتقليل نفوذ الحكومة العلوية في لبنان وتحركاتها فيها..ولا يجوز بحال أن يبادَ أهلكم في فلسطين ولبنان، بأيدي اليهود والحكومة العلوية، ثم يسلمون، أعني اليهود والعلوية وتابعيهم من الطوائف الباطنية ـ من المقابلة والردود المماثلة..).

وحول زيارة الرئيس الإيراني أحمدي نجاد الى لبنان وجنوبه، عاد القرعاوي لتأكيد موقفه مرة أخرى، في سياق ما يمكن وصفه بعقلية بارانويا ثرية في إنتاج القصص الموازية، حيث تتحوّل شجاعة نجاد خلال جولته إلى لبنان إلى مجرد مسرحية بهلوانية في نظر الخط السلفي الوهابي في تنظيم القاعدة، الى حد بالغ القرعاوي في توصيف قوة الكيان الاسرائيلي بما يجعل من إفلات نجاد من القتل مستحيلاً، لو شاء الاسرائيليون له ذلك (ولو كان اليهود يريدون قتله لقتلوه بيسر، فطائراتهم تحتل سماء لبنان وتحلّق فيها، لكن حماية له لا تهديداً..)!.

وفي السياق نفسه، يضع القرعاوي حزب الله مكوّناً في قصة المؤامرة بقوله: (واعلموا أن الحزب ـ أي حزب الله ـ قد جمع السلاح ليستعمله في الصراعات الداخلية، في ذبح أهل السنّة والجماعة..). وهنا تبدو عملية الشحن للغرائز الطائفية في أقصى طاقاتها، وكأن ثمة من يريد لها أن تندلع كيما تكون جاهزة لمعركة ينذر القرعاوي ورفاقه بوقوعها: (لكننا نحسب أن لحم أهل الشام سيكون مرّاً علقماً على أبناء العلقمي الباطنية..). لغة لا نجد أثراً لها سوى في الأدبيات الوهابية، تماماً كما هو التصوير السكاتالوجي الذي يجمع الشيعة واليهود تحت راية المسيح الدجّال لحرب أهل الاسلام في آخر الزمان، بحسب القرعاوي، الذي لا ينسى أن يجد في حديث نبوي زعماً لما يؤكد تصويره.

شملت حملة انتقادات القرعاوي أهل السنّة في لبنان والمحسوبين على معسكر المعارضة، فانتهى للحكم عليهم قائلاً: (فهم عند كل ذي فطرة خونة عملاء، خانوا دينهم، وباعوا أهلهم، وانحازوا لعدوّهم الذي يحارب المسلمين حرباً صريحة..). ويقصد بالعدو، بطبيعة الحال، حزب الله. ويقسّم القرعاوي أعداء أهل السنة الى قسمين: خارجي يتمثل في الكيان الاسرائيلي، وداخلي وهو (المتمثل في الشيعة الحاقدين الطامعين، ومن كان عميلاً لهؤلاء فهم في ميزان العدل كالعميل للسابقين..)، بل يعتبر المقاومة في لبنان بأنها ليست (إلا مقاومة الوجود السنّي بالقتل والتهديد والإذلال..)..وهذا التقسيم مخالف لما ذكرته قيادات القاعدة، وعلى وجه الخصوص الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري كما سيأتي.

كوادر القاعدة الجدد تخرجوا من المدرسة الوهابية في القصيم، ولم يختلطوا أو يتعرّفوا على الأفكار الإسلامية الحركية المتسامحة لدى الاخوان المسلمين، لذا كانت نزعتهم الطائفية حادّة

ثمة تطابق ملفت في عبارة وردت في البيان الثاني (فإن الطائفة المظلومة أهل السنة ستتحرّك ولابدّ، للإقتصاص ونصرة نفسها من عدوّها الرئيس رأس الأفعى، ومن أدواته الخسيسة في لبنان)، مع كلام ظهر في وثائق ويكيليكس منسوب الى الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي طالب بقطع رأس الأفعى، في إشارة إلى إيران..هل ثمة مطبخ مشترك للبيانات؟!



المقدسي والظواهري: هل هناك حدود للتكفير؟

وفي البيان رقم (٣) ضمن سلسلة (ولتستبين سبيل المجرمين) والصادر بتاريخ ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٠ وفيه رسائل محددة الى كل من: الجيش اللبناني، طوائف لبنان من غير الشيعة، سجن رومية. يبدأ البيان بعرض للنظام السياسي الطائفي في لبنان، وحصص كل طائفة في هذا النظام. ثم يتناول دور سورية في لبنان حتى خروجها في العام ٢٠٠٥، ويقول (وبعد خروج السوريين العلويين وجزء كبير من مخابراتهم من لبنان، وكل الأمر لحزب الله، فمن رضي عنه الحزب والشيعة عموماً..حُمي ودعم ويقوى جانبه، ومن خالف الحزب ولم يرض عنه قادة الحزب، فإن التهميش والإقصاء عن الساحة مصيره..)، ويعتبر أن الجيش ظاهراً تحت قيادة النصارى متمثلين في قيادته، ورئيس مخابراته، ولكن واقع الحال غير ذلك، حسب البيان، بمعنى أن الشيعة هم يسيطرون فعلياً على الجيش ومخابراته. ويذكر البيان عميداً في الجيش اللبناني إسمه عباس إبراهيم ويعتبره البيان (العقل المدبّر للحرب على أهل السنة، وهو من يقف وراء سفك دمائهم وظلمهم..). ويبالغ البيان في تصوير دور للعميد إبراهيم بما يجعل بقية الأجهزة العسكرية والأمنية وحتى السياسية عاجزة عن الوقوف أمامه وكبح جماح سلطانه.

يقول البيان بأن (كتائب عبد الله عزام..لا نرى مواجهة الجيش ابتداءً..ولا نرى العمل الداخلي في لبنان، وليس لنا هدفٌ في أولوياتنا إلا مقاتلة اليهود المحتلين، والدفاع عن أهل السنة المظلومين..)، فلماذا تشكّلت الكتائب في لبنان، ولماذا اقتصرت لغة البيانات واستهدافاتها على الداخل اللبناني وفي أقصى الأحوال بلاد الشام، فيما لم يأت ذكر الإحتلال الإسرائيلي لجزءٍ من لبنان، أو حتى الاحتلال الأميركي للعراق، أو الوجود العسكري الأميركي في الخليج..كل ذلك كان غائباً في بيانات الكتائب، فأين هي الأولويات؟!

كل ما جاء لاحقاً في البيان لا يخرج عن إطار التحريض الطائفي، ودعوة للتمرد على المؤسسة العسكرية، الممثلة في الجيش اللبناني ونفي كونه مؤسسة وطنية، وكأن ما لا يقوله فريق الموالاة تتولى كتائب عبد الله عزام الجهر به عالياً، كالقول (أن العدوّ الذي يسيّر الجيش وأفراده وعساكره، هم الشيعة..وإن هؤلاء العساكر ماهم إلا أدوات في أيدي أولئك يحرّكونها كيف شاؤوا..وإنكم إذا قطعتم رأس الأفعى ماتت..ومات ذيلها..فلا يشغلكم السعي وراء الأدوات التي كلما ذهب بعضها جاء غيرها..)، ألا يعني ذلك سوى الفتنة السنية الشيعية؟!

في المحور الثاني: كلمة إلى طوائف لبنان، ثمة خطاب يراد توجيهه الى الطوائف الأخرى لتحذيرها من سيطرة الشيعة على الجيش ومخابراته، والهدف هو دعوة هذه الطوائف لأبنائها في الجيش بعدم الخضوع للشيعة للبطش بأهل السنة! (فندعوكم إلى أمر رشدٌ لا يرفضه عاقل، وهو أن لا تقحموا أنفسكم في معركة عليكم ضررها ولغيركم نفعها، بمساعدة الظالم على ظلمه، ونحن لا نرضى أن يثبت أحدٌ وجوده على حسابنا..).

في المحور الثالث: جوانتنامو لبنان (سجن رومية) ثمة توجيه مقصود الى إقحام حزب الله في اعتقال وتعذيب عناصر القاعدة المسجونين في

سجن رومية، (نحمّل المسئولية الكبرى لحزب الشيعة ومتنفّذيهم، لأنهم هم من يدير المحاكم العسكرية، والدولة الفعلية تحت سيطرتهم فهم يحبسون من يشاؤون ويفرجون عمّن يشاؤون، بحسب ولاء السجين لهم..).

القاعدة والشيعة.. الخطاب المتحوّل

بعد العرض السابق نقف أمام مفصل هام وخطير، وعليه مدار الإنشعاب الكبير في خطاب القاعدة. حين نقرأ مسار الخطاب القاعدي خصوصاً إزاء الشيعة، نقف أمام خطّين متنافرين داخل تنظيم القاعدة، وقد يرشد ذلك الى مرجعية فكرية من جهة ومرجعية سياسية وتنظيمية من جهة ثانية، وكلاهما يعملان بصورة مستقلة أحياناً أو متنافرة حيناً آخر. برنارد هيكل، الأكاديمي المتخصّص في شؤون الحركات الاسلامية، يقرأ القاعدة على أنها (نتاج مسارين أيديولوجي وديني غالباً ما كانا في حالة توتّر، وخصوصاً فيما يرتبط بالتعامل مع الشيعة)، المسار الأول يمثّله الإخوان المسلمون، وهي حركة لطالما شدّدت على الوحدة الاسلامية، وعارضت الإنغماس في الخلافات بين المسلمين خشية إضعاف الجهود لتأسيس دولة يتم فيها تطبيق الشريعة. أما المسار الثاني في القاعدة فهو السلفية، وهي الحركة التيولوجية التي تشدّد أولاً على تطهير المعتقدات وممارسات المسلمين الغاوين. (برنارد هيكل، الجهاديين والشيعة، الفصل التاسع، ص ٢٠٢، بحث في كتاب مشترك باللغة الانجليزية صادر عن مركز مكافحة الارهاب بعنوان (جروح البلاء الذاتي..مناظرات وانقسامات داخل القاعدة وأطرافها) تحرير كل من عسّاف مقدم، وبريان فيشمان والصادر بتاريخ ١٦ ديسمبر ٢٠١٠.

لا يمكن، قبل العام ٢٠٠٣، أن نعثر في كتابات وخطابات أسامة بن لادن وأيمن الظواهري ما يشير إلى موقف خصامي ضد الشيعة، ولم ينخرط أي منهما في مناظرات مذهبية، وكان بن لادن متحفظاً في مهاجمة الشيعة، وهذا دون ريب إنعكاس لتأثير الاخوان المسلمين على فكره، كما أن هناك عاملاً آخر وهو أن بن لادن سعى لأن يقدّم نفسه باعتباره شخصية وحدوية لجميع المسلمين ضد (الكفار)، ويمكن أن يقال الشيء ذاته بالنسبة لأيمن الظواهري، مع أن الأخير ينتمي فكرياً وحركياً الى الاخوان المسلمين في مصر. في واحد من أبرز أعماله الفكرية (فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم)، كان الظواهري واضحاً في رسم مسار الحركة الجهادية التي ينتمي اليها، والتي شكّلت مصر في منتصف الستينيات نقطة انطلاقتها، وهناك افترقت الخطوط على أساس تحديد جهة وهوية العدو، فقد اختار الخط العام في الاخوان المسلمين العدو الخارجي كجهة إستهداف، بينما اختار خط آخر يمثّله سيد قطب العدو الداخلي، الذي يقول عنه الظواهري: (لا يقل خطورة عن العدو الخارجي، بل إنه الأداة التي يستخدمها العدو الخارجي والستار الذي يحتمي وراءه في شن حربه على الإسلام) (أيمن الظواهري، فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم، ص ١١). والمائز الآخر، أن المجموعة المقرّبة من سيد قطب إختارت أن تقرن الأقوال بالأفعال، فقرّرت الجهاد منهجاً في التغيير. ومن هناك يؤسس الظواهري لتنظيم القاعدة صيرورته التاريخية.

في الباب الأول من الجزء الثاني بعنوان (أعداء الإسلام) يحدّد الظواهري ثلاثة أعداء: الامريكان، اليهود، الأنظمة الموالية لهما. وفي تناوله في الباب الثاني بعنوان التيارات الاسلامية، كانت مرجعية الظواهري ليست سلفية، بل لم يذكر من بين أسماء العلماء المؤسسين للحركة الجهادية سوى الشيخ محمد بن ابراهيم، المفتي العام للمملكة في عهد الملك فيصل والذي كتب نقداً في تحكيم القوانين الوضعية في السعودية حينذاك. حين نقارن ما يقوله الظواهري مع بيانات القرعاوي نجد بوضوح التباين في الخطاب لدى كل منهما إزاء هوية الأعداء.

يلحظ هيكل تحوّلاً في موقف القاعدة منذ العام ٢٠٠٣، وهو العام الذي سقط فيه النظام البعثي في العراق، حيث غادرت الطبقة القيادية في تنظيم القاعدة رؤيتها الاخوانية تجاه الشيعة، وأصبحت تتبنى منذ ذلك التاريخ الموقف السلفي المتشدّد (هيكل، المصدر السابق، ص ٢٠٣) وقد لعب أبو مصعب الزرقاوي دوراً في استدراج قيادة القاعدة نحو موقف أكثر تشدّداً تجاه الشيعة، ما دفع الشيخ محمد المقدسي أحد أبرز منظّري الفكر الجهادي الى معارضة الزرقاوي في تكفير عموم الشيعة وقتلهم، وقال بأنه (لا يجوز تكفير عموم الشيعة، وأنه يستند في ذلك إلى أقوال أئمة أهل السنّة خصوصا شيخ الإسلام بن تيمية، وبالتالي فان استهدافهم بالقتل عمل غير شرعي)، بحسب مقابلة مع قناة (الجزيرة) في تموز (يوليو) ٢٠٠٥.

أيمن الظواهري، الرجل الثاني في تنظيم القاعدة، بعث برسالة من ١٢ صفحة في تشرين الثاني (أكتوبر) ٢٠٠٥ الى أبي مصعب الزرقاوي يدعوه فيه الى تجنّب قتل الشيعة وقال له (الكثير من أنصارك المسلمين من عامة الشعب يتساءلون حول هجماتك على الشيعة). وأضاف الظواهري بحسب هذه الرسالة (حدة هذه التساؤلات تزداد عندما تستهدف الهجمات أحد مساجدهم وتزداد أكثر عندما تستهدف الهجمات مقام الإمام علي). ومضى يقول (بنظري فإن الشعوب المسلمة لن تقبل بذلك مهما حاولت التفسير وستواصل مناهضتها لذلك). وطالبه بعدم الإنغماس في خصومات جانبية تؤدي الى ضياع أهداف التنظيم وقد تخلق بيئة معادية له.

بعد مقتل الزرقاوي ونشوء قيادات فرعية متعدّدة في ظل شبه قطيعة بين ابن لادن والظواهري مع فروع التنظيم، بدأ التيار السلفي الوهابي بلونه الطائفي يفرض هيمنته على الإتجاهات الفكرية لدى القاعدة، بل ويسمح بدخول أجهزة استخبارية إقليمية ودولية لتوظيف فروع التنظيم في معارك داخلية. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الجيل الجديد من كوادر القاعدة، بمن فيهم الكوادر القيادية قد تخرّج من المدرسة السلفية الوهابية في القصيم، ولم يختلط أفراده أو يتعرّفوا على الأفكار الإسلامية الحركية المتسامحة لدى الاخوان المسلمين، ولذلك كان من الطبيعي أن ينشأ هذا الجيل على التشدّد الديني والنزعة الطائفية الحادة إزاء بقية المذاهب الأخرى، ومن بينها المذهب الشيعي.

المفتي وتوبة الخارجين على الدولة

في كلمة مفتي المملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ خلال استقباله لمن أطلق عليهم (التائبين عن الفكر الإرهابي) في ١٤ محرم ١٤٣٢هـ ـ ٢١ ديسمبر ٢٠١٠ ما يلفت إلى أن التوبة ليست عن فكر إرهابي ضد الآخر، الديني، ولا الخارجي، بل هي توبة عن فكرة الخروج على الدولة (مما نحمد الله عليه أن جعلنا وإياكم في بلد يحكمه رجال ذوو القلوب الكبيرة، ملؤها العطف والشفقة والحنان والحرص.. أعظم دليل وأجلى حجة.. احتضان أمثالكم من شباب وأبناء هذا الوطن الذين أخطئوا الطريق.. لكن رغم كل ذلك شملهم العفو والصلح من ذوي أصحاب القلوب الكبيرة من ولاة الأمر.. ومن هنا جاءت مبادرة الحوار والمناصحة من القيادة الرشيدة من قبل السوط والعقاب.. فكانت من ثمرة هذه السياسة الحكيمة ما نراه اليوم من هذه الوجوه الكريمة من ثلة من الشباب الذين قد أنقذهم الله من تأثير دعوة أصحاب الفكر المنحرف والفئة الضالة ، فأدركوا الحقيقة واهتدوا سبيل الرشد والصواب ، ونأوا بأنفسهم عن سلوك طريق الشذوذ والضلال والتكفير والتفجير... نشكر قيادتنا الرشيدة، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده الأمين ونائبه الثاني، وغيرهم من المسؤولين بما تحلوا من الشفقة والرحمة والصفح عن الأخطاء والزلات، وفتح أبوابهم لأبنائهم بالتوبة والأوبة، والاندماج في المجتمع وإعادة مكانتهم الاجتماعية لهم).

ويكيليكس، وسياسة السعودية الباكستانية

محمد شمس

الباكستان، دولة تتهاوى، بالرغم من أنها (نووية)، وبالرغم من أن الحكم (في جوهره) مقبوض عليه بيد الجنرالات.

الباكستان.. بلد الطهر!، تعيش صراعاً أقرب ما يكون الى الحرب الأهلية الداخلية، منه الى صراع بين الحكومة ومعارضيها.

أزمات الباكستان كثيرة: غياب الديمقراطية، أو ضعف مؤسساتها، وتتالي الإنقلابات فيها.. والآن: التدخل الأميركي المباشر عسكريا وسياسياً والذي دفع بالحكومة وجيشها ومخابراتها العسكرية دفعاً باتجاه مواجهة مجاميع كبيرة من السكان، فضلاً عن الإنتقاصات المخلّة بالسيادة والتي تقوم بها الطائرات الأميركية والتي تقتل وتذبح من الجو مئات من المواطنين تحت مسمّى الإرهاب.

النخبة السياسية الفاسدة، وحكم العسكر القهري وتدخلاته المستمرة وانقلاباته غير الرشيدة، وتضعضع الوضع الإقتصادي، والتدخل الأميركي، والعدوى الفوضوية القادمة من أفغانستان.. كلها قضايا تسهم في تحويل الدولة الى (فاشلة) حسب التعبيرات السياسية الحديثة.

لكن المشكلة الأكبر بنظرنا، والتي جرّت الى الكثير من المشاكل المذكورة أعلاه هي: أن الباكستان أصبحت مزرعة للسعودية، سياسة وأيديولوجيا، ما جعلها عرضة لكل الأمراض القادمة من الرياض.

نتذكّر أن السعودية كانت ضالعة في الانقلاب العسكري للجنرال ضياء الحق على الحاكم المدني علي بوتو أواخر السبعينيات الماضية، حيث لم تقبل السعودية إلا بصلبه وإعدامه!، ليعلن بعدها الجنرال بأنه سيطبق الشريعة الإسلامية، على الطريقة السعودية، ولتنتكس الباكستان بعدها في المجالات كافة، ما مهّد الى عملية اغتياله والإطاحة به.

السعودية كانت مهتمة بحاجاتها الأمنية، وقد وفّر ضياء الحق لها نحو ٣٠ ألف جندي باكستاني نقلوا الى القواعد السعودية وبقوا هناك الى منتصف الثمانينيات الميلادية. الباكستان عدّت ذخيرة سعودية إن احتاجت اليها.

لكن السعودية كانت بحاجة الى اختبار أيديولوجيتها في بلد لا ينطق بالعربية، والباكستان كانت حاضناً جيداً لتلك الأيديولوجيا السعودية، وهو ما دفع الأخيرة الى بناء الكثير من المساجد، والى استقبال طلبة العلوم الدينية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ليعودوا فيروجوا الى (العقيدة الصحيحة) في ديارهم. وبسبب الوجود السعودي، اصبحت الأجواء الإسلامية في الباكستان شديدة الراديكالية، أكثر مما هي عليه من راديكالية، خاصة في فترة حكم الجنرال ضياء الحق وتطبيقه المشوّه ـ كما آل سعود ـ للشريعة الإسلامية. حتى

الجبير: نواز شريف خالف شروط اللجوء الى السعودية بعدم الإنخراط في العمل السياسي أو العودة الى الباكستان، وقد خدعنا وسافر الى لندن ومنها الى الباكستان مباشرة



رئيس الوزراء بوتو: شنقته السعودية

الحركات الإسلامية المعتدلة، وجدت نفسها ـ وبسبب العامل السعودي الذي اقتحم الساحة الدينية ـ تخسر الكثير من جمهورها، ما دفعها الى شحن خطابها بالمؤثرات العاطفية والى حد ما الطائفية وغيرها.

ذهب ضياء الحق، وبقيت السعودية على عدائها لحزب الشعب، لا لسبب إلا لأنها تكره عائلة بوتو، على خلفية طائفية أيضاً. مع أن حزب الشعب لا صلة له بالعامل الديني. وبقيت الباكستان في اضطرابات وتغير الحكومات من حكم بوتو الى نواز شريف الى انقلاب مشرف الى مقتل بوتو، الى حكم زوجها زرداري، والحبل لازال على الجرار.

السعودية أصبحت منفى للعديد من القيادات

الباكستانية. حيث أصبح المنفى السعودي واحدة من المساومات بين القيادات المتنازعة في إسلام أباد، والتي تحرص على أن تستجلب السعودية الى جانبها، سواء كانوا عسكراً أو قيادات مدنية. ربما يشذّ حزب الشعب عن هذا الأمر، حيث رفضت بوتو المنفى السعودي، وفضلت بريطانيا عليه، كما أنها حين أرادت الإقتراب من موطنها، اختارت دبي، وليس الرياض التي لا تكن لها ودّاً.

ما عسى السعودية أن تقول اليوم وقد وصلت الباكستان الى مستنقع قريب من الحرب الأهلية؟

هل تحمّل نفسها وأيديولوجيتها بعضاً من المسؤولية على الأقل؟

كلا!

بل على العكس. فالسعودية ـ كما هي نزعتها الإستعلائية ـ تنظر الى الباكستان وقادته دونياً. إذا كان الأمراء ينظرون بدونية الى العراق وقادته وهم عرب وأغنياء وجيران وأبناء عشائر، فكيف سيكون حال الباكستان (الأعجمية) الفقيرة. لا ننس هنا، أن الوهابية بالذات، والتي تشكل هوية الحكام السعوديين وحاشيتهم، ذات جذر ليس عنصري فحسب، بل ومناطقي أكثر ضيقاً أيضاً (العقيدة النجدية).

الجبير: الحكومة السعودية عملت بصورة مباشرة مع مشرف لاعتقال شريف عند عودته الى باكستان وترحيله مباشرة الى المملكة، وقد أبلغنا مشرف بأننا سنتسلمه وإن الأمير مقرن هو المسؤول عن اعتقاله!

وثائق ويكيليكس، وفي سياق تغطية السعودية ومواقفها للشأن الباكستاني، والذي جاء في بعض الأحيان بصورة عرضية، كشف عن طبيعة النظرة السعودية واستعلائيتها، والسياسة السعودية التي تفضل فئة على أخرى من الباكستانيين (لازال السعوديون يتحدثون عن البقاء على مسافة واحدة من كل الأطراف الباكستانية!!). بل أن الأمراء أخذوا يدينون حكام الفساد في الباكستان (يأمرون بالبر وينسون أنفسهم)!!

وتكشف الوثائق حجم التدخل السعودي في الشأن الباكستاني، وامتدادات تأثيره، حيث أن السعودية ليست مراقباً للشأن الباكستاني بل صانعاً له، وشريكا فيه، كما يقول السفير السعودي في واشنطن عادل الجبير.

إحدى وثائق ويكيليكس (رقم ٠٧RIYADH٢٣٢٠) المؤرخة في ٢٠/١١/٢٠٠٧، والصادرة من السفارة الأميركية بالرياض، تكشف عما أشرنا اليه آنفاً من خلال حديث للسفير السعودي في أميركا عادل الجبير لموظف في الخارجية الأميركية حول زيارة الرئيس مشرّف الى السعودية.

تقول الوثيقة التالي:

في ٢٠ نوفمبر، دعا السفير السعودي الى الولايات المتحدة عادل الجبير مساعد مدير مكتب المسؤول عن الشؤون الخارجية (مدوّن ملاحظات)، في مقر إقامته على الغداء. وخلال الوجبة، قال السفير الجبير بأن الرئيس الباكستاني برويز مشرف وصل الى السعودية اليوم، ٢٠ نوفمبر، وأنه سيلتقي بالملك عبد الله، ووزير الخارجية الأمير سعود الفيصل، ورئيس الاستخبارات العامة الأمير مقرن بن عبد العزيز، وذلك بعد أن يكمل مناسك العمرة في مكة. ولفت الجبير الى أن مشرف سيلتقى مع وزير الخارجية والأمير مقرن أولاً، وبعد ذلك سيلتقي مع الملك عبد الله في المساء. الغرض من هذه اللقاءات، حسب الجبير، هو الإطّلاع على الوضع وتقديم وجهة نظرنا له.

٢. نفى الجبير أن يكون مشرف قد جاء إلى المملكة للقاء رئيس الوزراء الباكستاني السابق نواز شريف المقيم في المنفى السعودي، بالرغم من أنه ـ أي الجبير ـ تحاشى بحذر نفي مثل هذا اللقاء. عوضاً عن ذلك، شدّد بوضوح على (أننا في السعودية لسنا مراقبين في باكستان، ولكننا مشاركين).. وشدّد الجبير على أن الحكومة السعودية عرضت على شريف تعهد الحماية واللجوء في المملكة بعد اقتلاعه من قبل مشرف، في مقابل وعد منه بالابتعاد عن النشاط السياسي لعشر سنوات. وأضاف بأن شريف بدأ يسعى في اختبار هذا الوعد بعد خمس أو ست سنوات في منفاه. نواز شريف خالف وعده من خلال القيام بنشاط سياسي حين كان في المملكة، بحسب الجبير. وأضاف بأنه حين سمحت الحكومة السعودية لشريف بالسفر الى لندن، وعد أولاً السعوديين بعدم الانخراط في النشاط السياسي أو العودة الى باكستان، ولكنه فيما بعد سافر الى باكستان من لندن في مخالفة مباشرة لالتزامه.

٣ ـ عبّر الجبير عن خيبة أمله الكبيرة في شريف بنكثه لتعهداته للحكومة السعودية. وقال بوضوح بأن الحكومة السعودية عملت بصورة مباشرة مع مشرف لاعتقال شريف عند عودته الى باكستان وترحيله مباشرة الى المملكة. وأبلغنا مشرف بأننا سنتسلمه ومن ثم إبقائه هنا كضيف معزّز، حسب الجبير. وأضاف بأن الأمير مقرن كان الشخص المعيّن من قبل الحكومة السعودية لاعتقال شريف. ولفت جبير الى أنه سمح للأمير مقرن بالكشف عن شروط اتفاقية لجوء شريف. وقال الجبير بوضوح أن الحكومة السعودية ستبحث في ضبط تحركات



الجنرال ضياء الحق: إسلام سعودي

شريف في المستقبل، مع أنه أفاد بأنه سيبقى في البلاد فقط في وضع أقل شدّة من الإقامة الجبرية.

٤ ـ أضاف الجبير بأنه يرى بأنه لا شريف ولا رئيسة الوزراء السابقة بي نظير بوتو كانا في وضع بديل مناسب لمشرف. ومع كل الأخطاء التي ارتكبها مشرف، حسب قوله، يبقى الأخير الشخص الذي يجب عليك أو علينا العمل معه الآن. وزعم بأن شريف لن يكون قادراً على السيطرة على التمرد الاسلامي البشتوني في منطقة القبائل بالقرب من افغانستان، بينما بوتو ستثبت بأنها عنصر تفرقة وتقسيم ولا تصلح لحكم بلد قبلي يشبه الى حد كبير بلدنا ـ السعودية.

٥ ـ أضاف الجبير بأنه بالنسبة للحكومة السعودية، فإن استقرار باكستان قضية استراتيجية جوهرية. ومنذ أن حازت باكستان على أسلحة نووية وعربات نقلها، فإن الخيار الدراماتيكي المتاح من وجهة النظر السعودية هو التالي: بإمكاننا إما دعم مشرف والاستقرار، أو يمكننا السماح لإبن لادن بالحصول على القنبلة، حسبما أبلغ الجبير ضيفه.

٦ ـ تعليق: بوصفه مستشاراً ملكياً رفيع

الجبير للأميركيين: نفضل مشرف على كل من نواز شريف وبوتو. بإمكاننا دعم مشرف والاستقرار، أو يمكننا السماح لإبن لادن بالحصول على القنبلة النووية!

المستوى عمل في خدمة الملك عبد الله لثمان سنوات، تلتقي وجهات نظر الجبير بصورة عامة مع نظرات الملك بصورة وثيقة. ويبدو من المحتمل بأن الملك، والأمير مقرن، والأمير سعود الفيصل سيقدمون تعهدات لمشرف بدعم قوي في اللقاءات اليوم. ونلحظ بأن السعوديين لديهم رابطة اقتصادية مع نواز شريف، حيث أنه الأول من غير السعوديين الذي يتلقى قرضاً لتنمية اقتصادية خاصة من الحكومة السعودية، بهدف تطوير مشاريع تجارية هنا في المنفى ـ أي السعودية. سنزوّدكم بالمزيد من من المعلومات حول هذه اللقاءات في حال الحصول عليها لاحقاً (نهاية التعليق/ جفويلر).

وثيقة أخرى (رقم ٠٨RIYADH٧) مؤرخة في ٢/١/٢٠٠٨، أي بعد شهر ونصف من تاريخ الوثيقة الأولى، تتحدث عن التغييرات الدراماتيكية التي أصابت الباكستان، حيث عادت بوتو كما عاد نواز شريف، وأصبح مستقبل مشرّف في مهبّ الريح. بوتو تتعرض لمحاولة اغتيال، وتقتل. وشعر السعوديون في داخلهم بارتياح من أن نواز شريف هو الذي سيصل الى الحكم وليس بوتو أو حزبها، وعدّ سعود الفيصل نواز شريف بأنه قوّة

السعوديين دعموا نواز شريف بمنحه قروضاً لإقامة مشاريع تجارية له في المنفى السعودي، واعتبر ذلك ميزة لم يحظ بها أحدٌ من قبله من المسؤولين الباكستانيين

استقرار لباكستان!. الوثيقة ـ آنفة الذكر والصادرة عن السفارة الأميركية في الرياض، تتحدث عن لقاء جرى بين السفير الأميركي في الرياض فورد فراكر، ووزير الخارجية سعود الفيصل في مقر عمل الأخير بمبنى وزارة الخارجية. وكانت الباكستان هي موضوع النقاش بين الرجلين. يلخص السفير الأميركي لقاءه مع الفيصل على هذا النحو:

نقل السفير وجهة نظره حول اغتيال رئيسة الوزراء السابقة بي نظير بوتو الى وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل في لقاء في وزارة الخارجية في ٢ يناير. وفي تعليق على الوضع الراهن في باكستان، عبّر الأمير سعود عن دعمه القوي لإجراء انتخابات برلمانية. وأضاف بأن تأجيلاً محدوداً للانتخابات حتى فبراير يعتبر مقبولاً، أخذاً في الحسبان الوضع الحالي. ونصح الفيصل بأن يسمح للباكستانيين بأن يحلوا مشاكلهم السياسية الداخلية دون تدخل خارجي علني. ووصف وزير الخارجية رئيس الوزراء الباكستاني السابق نواز شريف بأنه قوة استقرار، وأنه رجل يمكنه اختراق الخطوط الحزبية وحتى المتطرّفين الدينيين.

أما تفاصيل اللقاء فهو كالتالي، حسب تصنيف السفير الأميركي نفسه:

٢ ـ نقل السفير وجهة النظر الواردة بخصوص اغتيال بي نظير بوتو الى وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل في ٢ يناير. وفي رده على وجهة النظر هذه، شخّص الأمير سعود الوضع الداخلي الحالي في باكستان بأنه حساس وخطير، ووصف المناخ السياسي الحالي هناك بأنه مسموم. وشدّد على الحاجة الى حفظ الاستقرار، ولحظ بأن التحدي الرئيسي للرئيس مشرف هو حفظ وحدة القوات المسلحة الباكستانية؛ وأفصح عن دعم قوي لإجراء إنتخابات برلمانية مخططة، ولكنه قال أيضاً بأن تأجيلاً محدوداً سيكون مقبولاً، بالنظر الى الوضع الجاري في البلاد. قال الأمير سعود بأن تأجيل الانتخابات قد يكون فرصة بالنسبة لباكستان للإفصاح عن كل ما يختمر في الصدور، وحذّر بأنه لا بد من السماح لباكستان من حل أزمتها السياسية الحالية داخلياً، دون ضغط خارجي مكشوف.

٣ ـ في تعليق على اغتيال بوتو، لفت الأمير سعود الى أنه كان خائفاً من نتيجة كهذه منذ أن قرر رئيس الوزراء السابق العودة الى باكستان. ومن ثمّ حذّر بأن حكومة الولايات المتحدة لا يجب أن تُرى بصورة علنية وهي تمارس نفوذها في الشؤون الداخلية الباكستانية، حتى لا تلهب بدون قصد قضايا ما من خلال تحريض المتطرّفين الاسلاميين على المزيد من العنف. يتحدث الناس عن المتطرّفين لدينا هنا، ولكنني اعتقد بأنهم أسوأ في باكستان، حسب تعليقه.

٤ ـ وقال وزير الخارجية بأن رئيس الوزراء السابق نواز شريف هو قوة استقرار، من وجهة نظره. ووصف شريف بأنه قائد عابر للخطوط الحزبية، وحتى المتطرّفين الاسلاميين، الذين عادة ما ينظر إليهم بأنهم غير منفتحين على الحوار. من وجهة نظر الأمير سعود، يمكن أن يلعب شريف دوراً هاماً في استقرار باكستان.

٥ ـ هذه النظرات تقف على نقيض واضح مع تلك التي لدى السفير السعودي في الولايات المتحدة عادل الجبير. في حديث بتاريخ ٣١ ديسمبر مع (دي سي إم. أنظر السفير السعودي في واشنطن عادل الجبير مع مسؤول في الخارجية الاميركية)، حيث كان الجبير نقدياً بدرجة شديدة لشريف، وقال بصورة خاصة بأن شريف خالف وعداً قطعه للملك عبد الله بمطالبته بصورة علنية الرئيس مشرف بالإستقالة. وبناء على الجبير، وعد شريف الملك قبل عودته الى باكستان، بتفادي مساءلة



الجبير للأميركيين: سنحتجز نواز شريف!

مشرف على قراراته السياسية الأخيرة بصورة علنية. قارن الجبير أيضاً الوضع الجاري في باكستان بالوضع في السعودية سنة ٢٠٠٣ حين شهدت المملكة حملة عنف من قبل الارهابيين المرتبطين بالقاعدة. وأوضح بأن الحكومة السعودية كانت قادرة على دفعها للوراء وفي الاخير الانتصار على التطرف، في جزء كبير منها من خلال إقناع علماء الدين في المملكة بشجب الإرهاب بقوة. وعبّر الجبير عن أمله بأن نتيجة مماثلة محتملة في باكستان.

٦ ـ تعليق: التقابل بين وجهات نظر وزير الخارجية والسفير الجبير جديرة بالملاحظة، حيث من المحتمل أنها ـ أي وجهات النظر ـ تشير الى أن المستويات العليا في الحكومة السعودية مازالت تناقش سياسة المملكة ومن باكستان عقب اغتيال بوتو. ومن المحتمل أن وجهات نظر الجبير قد تعكس الى حد وثيق من يدعمه وهو الملك (السفير فراكر).

واضح حتى الآن، بأن تدخل السعودية في الشأن الباكستاني عميق للغاية. حتى لكأن

سعود الفيصل حذّر السفير الأميركي بأن لا تتدخل حكومته بصورة علنيّة في الشأن الباكستاني الداخلي (حتى لا تلهب تحريض المتطرّفين الاسلاميين على المزيد من العنف)

الباكستان تبدو وكأنها مجرد ملحق في السياسة السعودية، وكأن ساستها يعيّنون من قبل الرياض. بل أن الأخيرة تتعامل مع الباكستان وكأنها مزرعتها الخلفية، وتشعر باهتمام بالغ فيما يحدث بها، وهي مهتمة بكل القادة، وتصرف عليهم، كما هو واضح بالنسبة لنواز شريف ومن قبله وبعده آخرين. هذا النفوذ العميق هل يعكس حالة صحيّة في العلاقات بين البلدين؟ لا يبدو الأمر كذلك. فهناك وثيقة أخرى سرية صادرة من السفارة الأميركية في الرياض (رقم ٠٨RIYADH١٥٤١) ومؤرخة في ١٦/١٠/٢٠٠٨، تشير الى (توتر علاقات باكستان مع السعودية) كما يقول نص موضوعها.

هل يعقل أن تتوتر العلاقات؟ نعم. فالسعوديون لا يحبّون حزب الشعب، الذي فاز في الإنتخابات مقابل مرشحهم المفضل نواز شريف بعد أن أطيح ببرويز مشرف. قد يكون هذا هو كل السبب حتى الآن، حيث يستبعد أن يكون الخلاف عائداً الى التدخل السعودي في الشأن الباكستاني، أو أن يعود التوتر الى أن زوج القتيلة بوتو وهو آصف زرداري قد غضب على السعوديين.

تقول الوثيقة التالي:

١ ـ السعوديون غير مسرورين بزرداري: أصداء المحاورين الباكستانيين في واشنطن واسلام آباد في مكالمة تعريفية مع بولكونس، شخّص السكرتير الثاني في السفارة الباكستانية سرفرز خانزاده بأن العلاقات السعودية الباكستانية بأنها في طور التوتر. وقال بأن ذلك بسبب إنعدام الثقافة لدى السعوديين في حكومة زردادي. وذكر بأن انخفاضاً حاداً تمّ في المساعدة المالية السعودية لباكستان، وبأن السعوديين لم يقدّموا قطرة واحدة من النفط بشروط تفضيلية كانوا قد وعدوا بها العام الماضي (إرجع إلى سي ودي). وبدلاً من ذلك، وخلال العام ٢٠٠٨، قدّم السعوديون مساعدة في هيئة شيك بقيمة ٣٠٠ مليون دولار، وكما هو واضح فإن ذلك أقل من السنوات السابقة. وقال خانزادة معاتباً (لا يمكن أن يكون الشحاذون مختارين). ويعتقد خانزاده بأن الحكومة السعودية ـ كما يبدو ـ تنتظر حتى سقوط حكومة زرداري.

٢ ـ تفضيل نواز: قال خانزاده بأن الباكستانيين على قناعة بأن الملك السعودي عبد الله يفضّل أن يرى باكستان تدار من قبل رئيس الوزراء السابق نواز شريف، وأنهم قطعوا المساعدة عن باكستان للتعجيل بهذه النهاية. نواز يعيش من الناحية العملية في السعودية، حسب خانزاده، ويزعم بأن نواز قد جرى تفضيله حتى بمكان للصلاة محجوز له في مسجد النبي في المدينة المنورة. وأضاف بأن إبنة نواز متزوجة من حفيد الملك فهد، وبالتالي فقد أصبح عضواً في العائلة المالكة السعودية (تعليق: السفارة غير قادرة على تأكيد ما اذا كان ذلك صحيحاً).

٣ ـ الوساطة الافغانية: زعم خانزداه بأنه لم يتم إبلاغ الحكومة الباكستانية بصورة مباشرة بجهود الوساطة الأفغانية السعودية، بالرغم من أنهم في الباكستان يشككون فيما اذا كان نواز كان حاضراً، حيث أنه كان في مكة في ذلك الوقت. وحيث أن الحكومة الباكستانية لم تعترض على مثل هذه المباحثات من حيث المبدأ، فإنهم يعتقدون بأن لديهم فرصة ضئيلة للنجاح بدون مشاركة أميركية وباكستانية.

٤ ـ تعليق: ملاحظات خانزاده تتوافق مع تقرير من اسلام آباد وواشنطن حول القلق الباكستاني من تدهور العلاقات مع السعوديين. وفيما تميل مصادرنا السعودية الى أن تكون أقل مباشرة، فإنهم لم يخفوا تحفظاتهم حيال آصف زرداري. بالرغم من ذلك، يواصل المسؤولون في الالحاح على جهود الدعم السعودي من أجل استقرار باكستان، ونتوقع بأن يشارك المسؤولون السعوديون في الجولة القادمة من لقاءات أصدقاء باكستان/ رندل.

لم يتغير موقف السعوديين في السنوات التالية، فهم قد فشلوا في إسقاط زرداري، رغم ضغوطهم السياسية والإقتصادية، ورغم تحريك المحسوبين عليهم في جهاز المخابرات العسكرية الباكستانية ممن يتلقون الرواتب الشهرية من الخزانة السعودية. ويبدو أن السبب يعود بدرجة أساس الى أمرين:

الأول، أن الولايات المتحدة ليست مقتنعة حتى الآن بصوابية الرأي السعودي فيما يتعلق بالإطاحة بزرداري، فالنخبة الحاكمة الباكستانية وإن كانت فاسدة جميعاً، فإن زرداري وصل عبر صناديق الإنتخاب، كما أن الإطاحة به قد تفضي الى توترات أكثر سوءً مما هو عليه الوضع الآن. وزيادة على ذلك لا يمكن التيقن بأن نواز شريف سيكون أفضل من زرداري في الأداء، خاصة وأن شريف سبق له وأن أصبح رئيساً للوزراء، ويومها اتهم هو الآخر بالفساد وسوء الإدارة.

والسبب الثاني، أن زرداري حاول أن يطور قنوات علاقات مع دول أخرى تعينه في وضعه الإقتصادي، وبالخصوص الصين وإيران، وقد نجح في ذلك الى حدّ كبير.

الفيصل للسفير الأميركي: متطرفو الباكستان الدينيون أسوء من نظرائهم متطرفي السعودية؛ والجبير يأمل بالقضاء على التطرف في الباكستان بنفس الطريقة السعودية!



الفيصل: شريف رجل الاستقرار!

لكن هذا لا يعني أن السعوديين قد غيّروا من مواقفهم حتى اليوم.

ما يدلنا على استمرارية الموقف السعودي السلبي تجاه الحكومة الباكستانية الحالية أن السيناتور بوند حين أراد زيارة السعودية في أبريل ٢٠٠٩، أبلغته السفارة في الرياض (الوثيقة رقم ٠٩RIYADH٤٩٦ والمؤرخة في ٣١/٣/٢٠٠٩) بأن السعوديين (يشعرون بقلق بالغ حيال التصدع السياسي في باكستان، وقد عملوا بدرجة شاقّة من خلال سفارتهم في إسلام آباد لجمع الأفرقاء الباكستانيين. وكانت العلاقات السعودية مع باكستان قد توتّرت لأن السعوديين لا يثقون بزرداري ويرونه وسياسيين باكستايين قياديين آخرين كفاسدين).

ذات الأمر حصل بالنسبة لهيلاري كيلنتون حين أرادت زيارة السعودية ولقاء الملك في فبراير ٢٠١٠، حيث أبلغت السفارة الأميركية في الرياض كلينتون في رسالة سرية في ١١/٢/٢٠١٠ (وثيقة رقم ١٠RIYADH١٧٨) بأن (الملك عبدالله يعتقد بأن آصف زرداري يمثل العقبة الرئيسية لقدرة الحكومة على التحرّك بوضوح لإنهاء مراكز إيواء الإرهابيين هناك. "فحين يعفن الرأس، فإنه يؤثر على كل الجسد" حسبما يقول. وقد أبلغ الملك الجنرال جونز بأن المساعد التنموية الاميركية ستعيد بناء الثقة مع الجيش، والذي شدّد على إستبعاده عن السياسة على خلاف تمنيات الولايات المتحدة).

مهما تكن الحال، فإن الباكستان المبتلاة بالأيديولوجيا الوهابية العنفية المفرّخة للإرهاب، ستصل الى النتيجة التي وصلت اليها دول أخرى كالمغرب والجزائر وتونس ومصر والسودان ودول الخليج الأخرى واليمن، من أن النفوذ الأيديولوجي السعودي مكلف، وأن مكافحة العنف الداخلي الطائفي لن تنجح إلا بمكافحة الوهابية، وقص أجنحتها وحصرها في مركزها السعودي النجدي.

جلب نيويورك الى مكة

الشكل الجديد لمكة: سخافة معمارية

نيكولاي أوروسوف



آل سعود يدمّرون آثار مكة من أجل الربح المادي بمساعدة من الوهابية ومشايخها

الى الجنوب مباشرة من المسجد الحرام في مكة المكرمة، أقدس موقع في العالم الإسلامي، والتسليم للفن الهابط لساعة بيغ بن في لندن على وشك الانتهاء. يدعى برج ساعة مكة الملكي، والذي سيكون واحداً من أطول المباني في العالم، والمحور في مجمع يضم مركزاً تجارياً عملاقاً، وفندقاً يضم ٨٠٠ غرفة، وقاعة الصلاة لعدة آلاف من الأشخاص. وسيتم تزيين شكله الخارجي، بلا حرج، بنسخة تقليدية عن الأصل، ويثها على نطاق بشع، مع النقوش العربية وعلى رأسها مستدقة هلالية الشكل في ما يشعر وكأنه إشارة ساخرة إلى ماضي الإسلام المعماري. لإفساح المجال لذلك، فإن الحكومة السعودية قامت بتجريف الحصن العثماني الذي يعود تاريخه الى القرن ١٨ والتل الذي أقيم عليه ذلك الحصن.

تم بناء ساعة برج مكة الملكي وعدد من العمارات الشاهقة، فيما تم مسح المزيد من الأراضي لأغراض البناء في المدينة السعودية، وأن بعض النقاد يعتبرون ذلك تحولاً رأسمالياً. وهذا هو الأمر الأخير في سلسلة استكشاف كيف أن المشاريع المعمارية على نطاق واسع تسهم في تحويل أجزاء من العالم العربي.

البرج هو مجرد واحد من العديد من مشاريع البناء في قلب مكة المكرمة، من خطوط القطار إلى العديد من المباني الشاهقة والفاخرة والفنادق والتوسع الهائل في المسجد الحرام. ويجري حالياً إعادة تشكيل النواة التاريخية لمكة المكرمة بطرق يجد كثيرون هنا بأنها مروعة، مما اثار انتقادات ساخنة على نحو غير عادي للحكومة السعودية التسلطية.

"إنه الاستغلال التجاري لبيت الله"، كما يقول سامي عنقاوي، معماري سعودي أسس مركزاً للأبحاث لدراسة قضايا التخطيط المدني حول الحج الى مكة، وكان واحداً من النقاد الأكثر صراحة للتوسعة. يقول عنقاوي "كلما اقتربنا من المسجد، كلما ازدادت كلفة الشقق. وفي الأبراج الأغلى، يمكنك دفع الملايين" لعقود تأجير لمدة ٢٥ عاماً. وأضاف: (اذا كان بإمكانك رؤية المسجد، فيلزم دفع ثلاثة أضعاف).

ويقول مسؤولون سعوديون أن طفرة البناء - والهدم التي تأتي معها - ضرورية لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الناس الذين يؤدّون مناسك الحج في مكة، وهذا الرقم إرتفع إلى ما يقرب من ثلاثة ملايين في العام الماضي. وكوني غير مسلم، لم يسمح لي بزيارة مكة، ولكن العديد من

يجري حالياً إعادة تشكيل النواة التاريخية لمكة المكرمة بطرق يجد كثيرون هنا بأنها مروعة، ما أثارت انتقادات واسعة ضد العائلة المالكة

المسلمين الذين تحدّثت معهم يعرفون جيدا - بما في ذلك المهندسين المعماريين، والآثاريون (المدافعون عن بقاء الآثار وحمايتها من الدمار المتعمّد غالباً) وحتى بعض المسؤولين الحكوميين - يعتقدون أن الدافع الحقيقي وراء هذه الخطط هو المال: الرغبة في الربح من بعض العقارات الأعلى قيمة في العالم. ويضيف هؤلاء، وقد تيسر ذلك خاصة عن طريق تفسير السعودية الصارم للإسلام، الذي يعتبر كثيراً من تاريخ ما بعد محمد (صلى الله عليه وسلم)، والتحف التي أنتجها فاسدة ، وهذا يعني أنه يمكن تدمير مبان عمرها قرون مع الإفلات من العقاب.

إن عقلية تقسيم المدينة المقدسة من مكة المكرمة - وتجربة الحج - على أساس طبقي واضحة للغاية، أي مع انفصال الأغنياء داخل مبان شاهقة ومكيّفة تطوّق المسجد الحرام، فيما يتم دفع الفقراء على نحو متزايد إلى الأطراف.

كان هناك وقت عندما كانت جهود العمارة والتخطيط الحضري التي قامت بها الحكومة السعودية، وخصوصاً حول مكة المكرمة، لا تبدو قاسية جداً. في السبعينيات من القرن الماضي، وفيما كانت الحكومة في طور السيطرة على شركة أرامكو، والتكتل الأمريكي الذي يدير

حقول النفط في البلاد، والارتفاع الشديد في أسعار النفط أدى الى موجة من برامج التحديث الوطنية، بما في ذلك جهود واسعة النطاق لاستيعاب أولئك الذين يؤدون فريضة الحج.

شارك في تلك المشاريع بعض المواهب المعمارية الأعظم في العالم، وتمّ تشجيع الكثير منهم لإجراء تجارب بحريّة لم يجدوها في الغرب، حيث كانت عقيدة مابعد الحرب في الحداثة قد بلغت مرحلة الإنهاك. فأفضل أعمالهم – الحديثة ولكن الحساسة للبيئة والتقاليد المحلية – تحدّت الإفتراض الشائع بأن العمارة الحداثية، كما تمارس في العالم النامي، لم تكن أكثر من تعبير خام عن سعي الغرب للهيمنة الثقافية.

وشمل تلك الأعمال المدن الخيمية اللافتة للمهندس المعماري الألماني فراي أوتو في أواخر السبعينيات من القرن الماضي، وتتألف من هياكل خفيفة الوزن قابلة للطي مستوحاة من تقاليد قبائل البدو الرحل، وتهدف إلى استيعاب الحجاج دون الإضرار بعلم البيئة الحساسة من التلال التي تحيط بالمدينة القديمة.

خمسون ميلاً إلى الغرب، صالة سكيدمور، أوينغز وميريل الخاصة بالحجاج في مطار الملك عبد العزيز الدولي وهي تعبير مماثل لشكل من أشكال الحداثة التي يمكن أن تكون حسّاسة للتقاليد المحلية والظروف البيئية دون اللجوء إلى الفن الهابط. شبكة تتكون من أكثر من ٢٠٠ من ستائر شبه خيمية تتكىء على نظام من الكابلات الصلبة والأعمدة، وهي مقسمة إلى مايشبه قرى صغيرة مفتوحة على الهواء الطلق، حيث يمكن للمسافرين الراحة والصلاة في الظل قبل مواصلة رحلتهم.

الخطط الحالية، على النقيض من ذلك، يمكن قراءتها على أنها مثل محاكاة تاريخية ساخرة. جنبا إلى جنب مع ساعة بيغ بن العملاقة، هناك العديد من مشاريع بناء أخرى فوق المعدّل ـ بما في ذلك اقتراح لتوسعة مخطط لها للمسجد الحرام يؤدي الى تهديم المجمع الأصلي للحرم ـ عبر مختلف أنماط إسلامية وهمية.

ولكن هالة مايشبه لاس فيجاس لهذه المشاريع يمكن أن تصرف الإنتباه عن الجريمة الحقيقية: إن الطريقة التي تمّت فيها مشاريع البناء هي تشويه للمدينة ـ مكة المكرمة ـ بكل الحسابات المتنوعة الى حد ما وغير مرتّبة. فسوف تتم إحاطة برج ساعة مكة بنصف دزينة من المباني الشاهقة والفاخرة، حيث تم تصميم كل منها بما يشبه التقاء شارع ويستمنستر بشارع وول ستريت ويقام على مجمع تجاري يقصد منه إثارة الأسواق التقليدية/الشعبية. وكونها بنيت على ارتفاعات مختلفة على حافة باحة المسجد الحرام، وتواجه محطة حافلات مقنطرة، وهي تشكل مزيج ما بعد الحداثة، وهذا يعني إثارة الخلافات في مدينة حقيقية ولكنها لن تفعل شيئا يذكر لوضع قناع على مشروع تجانس العقل المخدّر.

مثل مربّعات فاخرة تطوّق معظم الألعاب الرياضية، سوف تسمح شقق الأثرياء بالتحديق للأسفل مباشرة نحو الشعيرة الرئيسية من راحة الأجنحة الخاصة بهم دون الحاجة إلى الاختلاط مع الرعاع العاديين في الأسفل..

وفي الوقت نفسه ، دفع نطاق مشاريع البناء السكّان من الطبقة الوسطى والفقراء بعيداً أكثر فأكثر عن مركز المدينة. "أنا لا أعرف أين يذهبون"، يقول السيد عنقاوي. "إلى ضواحي مكة المكرمة، أو أنهم يأتون إلى جدة. تم تطهير مكة من المكيين"، على حد قوله.

التغييرات يرجَّح أن يكون لها قدر من التأثير على الطابع الروحي للمسجد الحرام في مكة كما على النسيج الحضري. قال لي كثير من الناس أن شدّة تجربة الوقوف في باحة المسجد لديها الكثير لتفعله مع علاقته بالجبال المحيطة. معظم هذه الجبال، تمثّل مواقع مقدّسة في حد ذاتها، والتي تلوح في الأفق ما يكسب وجودها في الفضاء شعوراً قوياً من الحميمية والألفة.

المهندسون المعماريون، والآثاريون وحتى بعض المسؤولين الحكوميين يعتقدون أن المال وليس شيئاً آخر هو الدافع الحقيقي وراء تدمير الآثار

لكن تلك التجربة، أيضاً، من المؤكد أن تكون تراجعت مع إضافة كل برج جديد، والذي يشوّه (يعيب) جزء آخر من المشهد. هذا لا يعني أنه سيكون هناك الكثير للنظر: فكثير من التلال ستتوارى قريباً بواسطة السكك الحديدية الجديدة، والشوارع، والأنفاق، في حين يجري نحت تلال أخرى لجهة إفساح المجال لبناء المزيد من الأبراج.

"والمثير للسخرية هو أن البنّائين يقولون



سامي عنقاوي: استغلال تجاري لبيت الله

بأن المزيد من بناء الأبراج يعني توفير المزيد من المناظر" ، يقول فيصل المبارك، وهو مهندس حضري يعمل في وزارة (هيئة ـ المترجم) السياحة والآثار. وأضاف "لكن الأغنياء فحسب يستطيعون ارتياد هذه الأبراج، فهم يملكون المناظر".

ليست القضية مجرد تحريك طاحونة الصراع الطبقي. فتحول المدينة يعكس انقساماً بين أولئك الذين يناصرون الرأسمالية المتوقّدة وأولئك الذين يعتقدون أنه ينبغي أن تتوقف عند أبواب مكة المكرمة، والتي يرون أنها تجسيد للمثالية الإسلامية لمبدأ المساواة.

"نحن لا نريد جلب نيويورك إلى مكة"، يقول السيد عنقاوي، ويضيف: "كان من المفترض دائما أن يكون الحج وقت يكون فيه الجميع على قدم المساواة. لا توجد طبقات، ولا جنسيات.. إنه مكان واحد حيث نجد التوازن. أنت من المفترض أن تترك وراءك الأمور الدنيوية".

ومع ذلك، فإن الحكومة يبدو غير متأثرة بمثل هذه المشاعر. فعندما ذكرت ملاحظات السيد عنقاوي في نهاية محادثة طويلة مع الأمير سلطان، الرئيس العام لهيئة السياحة والآثار، عبس وببساطة قال: "عندما أكون في مكة المكرمة وأطوف حول الكعبة لا أنظر للأعلى".

السعودية: أمن الدولة أم دولة الأمن

د. مضاوي الرشيد

ستقبل السعودية على مرحلة مبهمة المعالم في السنوات القريبة القادمة خاصة بعد انتقال العرش من الملك عبد الله الحالي الى خليفته والذي قد يؤدي الى تجاوز ولي العهد الحالي الى وزير الداخلية الامير نايف إن سمحت صحة هذا الأخير بذلك. ومهما تغيرت ملامح الدولة على اعلى مستوى في الهرم الا أن المخاطر التي ستواجه السعودية في المرحلة القادمة ستكون مرتبطة بأمن الدولة. هذا الأمن سيكون الهاجس الأول والأخير للطاقم الحاكم والذي يفوق بأهميته أمن المجتمع بكافة اشكاله الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية.

لقد حدد النظام السعودي المخاطر الأمنية التي تطاله كنظام ودولة بأمرين اولهما الخطر الايراني وثانيهما خطر الارهاب والقاعدة وفي مجال الخطر الأول اثبتت وثائق ويكيليكس المسربة مدى تعلق الملك الحالي بالخيار العسكري لضرب ايران من قبل الولايات المتحدة او حليفتها في المنطقة اسرائيل وحرض على قطع رأس الأفعى، وهذا ما فضح الخطاب المعلن للمملكة والذي يروج للسلام والدبلوماسية مما جعل العلاقة تتوتر وتتصاعد لهجة الشك والريبة بين دولتين كبيرتين على ضفاف الخليج العربي. ليس لهما من خيار سوى التعايش مع اختلافاتهما السياسية والدينية والاستراتيجية. ونعتبر تحريض الولايات المتحدة على ضرب ايران هو نوع من قصر النظر وغطرسة سياسية غذتها اسعار النفط المرتفعة والتي توهم الذين يحملون مفاتيح خزانتها انهم معصومون من تداعيات حرب عشوائية يدفعون فاتورتها واستحقاقاتها بملايين الدولارات ويظلون في ابراجهم العالية محصنين مسيجين وبعيدين عن شظاياها المتطايرة على الارض وفي صميم المجتمع.

ولقد اثبتت الضربات الخاطفة التي تتوقعها السعودية فشلها في ايجاد حلول دائمة لمشاكل سياسية واستراتيجية عالقة. وربما تشجع الملك السعودي على المطالبة بقطع رأس الأفعى من دروس التاريخ القريب المغلوطة خلال حربين خليجيتين داميتن دفع ثمنهما المجتمع بموارده وثرواته ومسيرته التنموية وافرزت هذه الحروب تيارات واتجاهات دموية لا تزال السعودية تعاني منها رغم أن السلطة بقيت في برجها العاجي المحصن.

لكن الوضع في هذه المرحلة يختلف تماما عما سبق اذ أن ايران اليوم تختلف عما كانت عليه في اوائل الثمانينات والحراك الاجتماعي في المنطقة على الضفة المقابلة لها قد تغيرت ملامحه ومطالبه ناهيك عن مناطق النفوذ الايرانية في الخليج ذاته وابعد من ذلك بكثير. لذلك نعتقد ان هاجس الأمن السعودي بعد الملك عبد الله سيبقى ايران اولا واخيرا. لكن النزعة العدوانية وعسكرة الموقف تجاه ايران واستمرار التحريض على الضربات الخاطفة سيثمر، ان تولى نايف عرش البلاد، خاصة وان امن الدولة هو من اختصاصه واختصاص طاقمه في اكبر وزارة تعرفها البلاد. ورغم انه معني بالامن الداخلي الا أن منطق الهاجس الامني يسيطر تماما على تفكير الوزارة وممارساتها، ناهيك عن منطق الاستخبارات والتجسس حيث لا يوجد تمرس بالدبلوماسية او الحوار او البحث عن المصالح المشتركة بين الدول وخاصة دول الجوار.


د. مضاوي الرشيد

سيسود المنطق الامني الاستخباراتي وسيطغى على منطق الدبلوماسية في التعامل مع أي معضلة تواجهها السعودية خارجيا أو داخليا. وربما ستقوم القيادة الجديدة باستعمال الاساليب المتبعة داخليا للحفاظ على امن الدولة والمعروفة منذ اكثر من نصف قرن في تعاملها مع ملفات العلاقات الدولية. فأمن الدولة الذي تصونه وتحرسه وزارة الداخلية من منطلق القمع والاستخبارات والاعتقالات التعسفية ومصادرة الحقوق المدنية والسياسية لن يكون خلفية تبشر بالخير ان هي استعملت ومورست في مجال التعامل مع الدول الاخرى.

ان انتقال شخصيات مرتبطة بأمن الدولة الى اعلى منصب في القيادة على مستوى ملك او ما شابه سيكون محفوفا بمخاطر قد تخسر السعودية نتيجتها الكثير من سمعتها العالمية وثقلها الاستراتيجي في المنطقة. وان كان منطق القمع والاستخبارات ومصادرة الحقوق هو سيد المواقف فما هي يا ترى تداعيات

هذا المنطق على علاقة السعودية بالدول الاخرى المجاورة وتأثيره على المحيط الاقليمي الضيق والآخر العالمي المفتوح.

انه تأثير سلبي بالفعل حيث ستسود سياسة خلف الكواليس وتستمر في التعاطي مع أي مشكلة عالقة او خلاف قد ينشأ مع أي طرف خارجي بنفس منطق المؤامرة وسياسة تدبير المكائد. ان اي طاقم حكومي صاحب خبرة محدودة في مجال الامن الداخلي وهواجسه وكوابيسه لن يصلح ليقود دولة ذات ثقل اقتصادي وسياسي او هكذا متوقع من دولة كالسعودية.

لا يهيئ الأمن الداخلي لقيادة اوطان ناهيك عن دول تنال احترام المجتمع الدولي اذ ان محدودية الخبرات السابقة وارتباطها بالقمع سيكون ان فخا تقع به السعودية وربما لا تنشل نفسها منه الا اذا كانت بالفعل تطمح لأن تتحول الى محور استخباراتي يدير مشاريع كبيرة بالوكالة. وهذا ما بدأ يلوح في الافق خلال السنوات القليلة الماضية حيث اصبحت السعودية تروج لنفسها وكأنها المحور الاستخباراتي المهم أو ربما الأهم في المعادلات الدولية والحروب العالمية ضد الارهاب. وقد قلصت القيادة السعودية دورها الى دور المخبر الذي تنتفع منه الدول الاخرى في كشف خبايا طرود ملغمة او خلفيات مفخخة من باب التعاون في مجال الحرب على الارهاب.

ولا بد ان نتساءل هل هذا المصير الذي يليق بدولة ذات ثقل اقتصادي واقليمي وديني. هل من المعقول ان لا تجد السعودية لنفسها اي دور سوى دور المخبر الذي تعتمد عليه دول العالم في حروبها الصغيرة والكبيرة.

لقد حصل هذا قبل ان تتحول القيادة المسؤولة عن امن الدولة الى القيادة الاولى فما بالك عندما يحصل هذا ويصبح امراً واقعاً عندما ستصبح السعودية بالفعل دولة الاستخبارات بالوكالة حتى تضمن لنفسها موقعا مركزيا على قائمة الدول الصديقة والحليفة للغرب والتي لا يمكن التخلي عن أمنها ليس فقط بسبب نفطها بل أهم من ذلك هو بسبب خدماتها الاستخباراتية للعالم الغربي. انتقال الحكم من قيادة امن الدولة الى اعلى منصب سيؤدي بالنتيجة الى تكريس السعودية كدولة امن محلية ذات بعد عالمي واقليمي ينحصر في دور محدود يكسبها عدم ثقة دول الجوار ناهيك عن تداعيات هذا على الساحة المحلية السعودية.

لقد تمرست القيادة المسؤولة عن أمن الدولة خلال العشرين سنة الماضية الاخيرة في مواجهاتها مع الارهاب. وهي حرب محدودة ذات صفات خاصة بها وان كان هدفها الأول القضاء على خطر العنف الا ان هذه الحرب اصبحت ذريعة جاهزة لممارسة كل انواع القمع المكشوف. وقد ارتبطت ممارسات الاجهزة الامنية بتوسيع دائرة التجسس والتقييد على الحريات وكأن البلاد في حالة طوارئ دائمة وغير معلنة.

ان من حق أي دولة ان تستعمل وسائل مشروعة في ضمان امنها وامن مجتمعها لكن بانعدام المحاسبة والمراقبة والشفافية تصبح هذه الوسائل ضبابية وقاتمة ومعتمة تختبئ تحت عباءتها اشد انواع القمع همجية دون ان يجد المجتمع وسيلة فعالة لفضحها وكشفها والتصدي لها. لقد استغلت قيادة الامن الحرب على الارهاب كغطاء جاهز لتمرير مشروع الدولة البوليسية الامنية وقلصت مجال الحريات ولبست قفازا تدعي انه تارة من الحديد وتارة من الحرير لتطبيع مشروع عسكرة الدولة واجهزتها. وان كان المجتمع السعودي بكافة اطيافه الفكرية والاجتماعية قد عانى من معضلة دولة الأمن هذه خلال السنوات الماضية والتي ادت الى ارتفاع عدد المعتقلين السياسيين وتقليص مساحة حرية الفكر والغاء اي حق بالتجمع او التنظيم.. الا ان تداعيات دولة الامن عندما تجلس على العرش على المجتمع الاقليمي ستكون محطة توجس من قبل جيران المملكة العرب والعجم ناهيك عن المجتمع الدولي خاصة اطيافه المعنية بحقوق الانسان والمتمسكة بمبدأ الحلول الدبلوماسية لأي مشكلة عالقة بين الدول وليس مبدأ الحلول العسكرية التي اثبتت فشلها في حل المشاكل المعقدة.

فها هي الولايات المتحدة تخوض حربا ضد الارهاب كما تدعي منذ عشر سنوات دون ان تؤدي هذه الحرب الى نتائج ملموسة او ايجابية. فبعد حربين في افغانستان والعراق وحروب صغيرة دائرة في مناطق اخرى كباكستان واليمن وغيرهما، نجد ان الكثير من المحللين بدأ يشك في جدوى هذه الحروب الطويلة غير المجدية وغير المؤدية الى نصر حاسم. سيتكاثر المشككون في جدوى الحلول الامنية والعسكرية بينما ستكون السعودية في صدد تجهيز ذاتها لتصبح المحور الامني والاستخباراتي في المنطقة بدون منازع مما قد يضر بها في الامد البعيد ويعرضها لهزات حتمية.

اذ ان دولة الامن ستكون دولة هشة تعتبر التآمر والعضلات الاستفزازية من الوسائل الناجحة رغم انها اثبتت فشلها خلال العقود الطويلة خاصة ان المنطقة العربية لها باع طويل في مثل هذه النماذج والتي اندثر بعضها لكن بعضها ما يزال يتمسك بمنطق الامن والقمع على حساب منطق الدبلوماسية خارجيا واشراك المجتمع في امنه داخليا عن طريق المشاركة السياسية والشفافية.

لدولة الامن تداعيات خطيرة ليس فقط اقليميا بل اجتماعيا ونفسيا اولا. اقليميا هي بمثابة قفزة ترتطم بالريبة وتشويش العلاقة بين الدول. اجتماعيا هي مسؤولة عن افرازات خطيرة تتمثل في تكريس مبدأ العنف لحل المشاكل. وتخلق دولة الأمن تيارات تمارس العنف المضاد تماما كما تمارسه الدولة. وهذه التيارات هي مرآة حقيقية لما تمارسه دولة الامن ضد المجتمع.

واخيرا تفرز دولة الامن علاقات انسانية مشوهة بين الافراد والعائلات والاصدقاء وتفكك اللحمة البشرية وتقهر النفس البشرية حتى تتحول الى بؤرة من الشك والريبة وعدم الثقة مخاطر دولة الامن المهووسة بأمنها في المديين القريب والبعيد هي مخاطر حقيقية تصيب الدول والمجتمعات في صميمها. ونأمل ان لا يكون هذا هو مصير السعودية في مرحلة ما بعد الملك عبد الله.

× عن القدس العربي، ٢٠١١/١/٩

وجوه حجازية

(١)
إبن إدريس
١١٧٢-١٢٥٣هـ

أحمد بن إدريس الحسني، الفاسي، أبو العباس. من ذريّة الإمام إدريس بن عبدالله المحض. ولد في ميسور من قرى فاس، وتعلم بفاس، فقرأ الفقه والتفسير والحديث. ثم انتقل الى مكة المكرمة وأقام بها نحو ثلاثين سنة. رحل بعدها الى اليمن سنة ١٢٤٦هـ، فسكن صبيا الى أن مات فيها، وهو جدّ الأدارسة الذين حكموا جنوب المملكة، فيما سمي بالمخلاف السليماني/ عسير.

له: كتاب العقد النفيس؛ جمعه أحد مريديه من كلامه وآرائه ومروياته. وله مجموعة الأحزاب والأوراد، وكتاب السلوك، وروح السنّة، وتيماء اليقين، ورسالة القواعد(١).

(٢)
إبن تاج الدين
(... - ١١٣٧هـ)

محمد بن تاج الدين المالكي المكّي. إمام وخطيب ببلد الله الحرام، ومفتي بلد الله الحرام. كان من القضاة. وقد وصف بالقاضي محمد ابن القاضي تاج الدين. جمع لوالده كتاب (تاج المجاميع).

وبيت تاج الدين بيت قضاء وإفتاء وإمامة وخطابة وفضل. قال أبو الخير: قال الإمام محمد الطبري في تاريخه: وفي ثامن رجب من سنة ١١٣٧هـ، توفي القاضي محمد ابن القاضي تاج الدين المالكي سلالة أئمة الأكابر، ورقاة أسرة المنابر. تقلد الفتوى فطلع في سمائها نجماً. وتقلد بعده الفتوى ابنه القاضي عبدالوهاب.

توفي رحمه الله بمكة(٢).

(٣)
أبو بكر الأنصاري
(٩٧١ - ١٠٠٦هـ)

أبو بكر بن علي بن أبي بكر بن أحمد بن عبدالرحمن الأنصاري الخزرجي المكي. حفظ القرآن الكريم ومجموعة من المتون في القراءات والتجويد والحديث والفرائض والنحو والحساب وغير ذلك. وقرأ على شمس الدين الرملي وأجازه بذلك.

وأخذ عن القاضي جار الله بن أمين بن ظهيرة الحنفي وولده علي.

وأخذ عن الشيخ يحيى بن محمد الحطاب ووالده محمد الحطاب، كما أخذ عن تقي الدين بن فهد المكي، والشيخ رضي الدين القازاني الشافعي، وعن محمد بن عبدالحق المالكي، وشيخ الإسلام عبدالرحمن بن عبدالقادر ابن فهد الهاشمي الشافعي.

وأخذ الفقه على الشيخ نور الدين البرنبالي ولازمه ملازمة تامة، وأذن له بالتدريس والإفتاء، فدرّس وأفتى وأجازه جميع شيوخه. وأخذ عنه جماعة منهم الشيخ محمد بيري، والشيخ علي طحينة، والشيخ عبدالرحمن الرسام، وغيرهم.

توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

له: حواش على كتب كثيرة من العلوم كالحساب والفرائض والجبر والمقابلة وأعمال المناسخات(٣)

---

(١) يوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، جـ١، ص ٣٤١. واسماعيل باشا البغدادي، هداية العارفين، جـ١، ص ١٨٦، وفيه وفاته سنة ١٢٥٢هـ. وعبدالرحمن بن سليمان الأهدل، النفس اليماني، ص ١٦٠–١٦٩. وخير الدين الزركلي، الأعلام، جـ١، ص ٩٠. وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، جـ١، ص ١٥٨.

(٢) عبدالله مرداد ابو الخير، مختصر نشر النور والزهر، ص ٤١٤. وعبدالله بن محمد غازي، نظم الدرر، ص ١٠١.

(٣) عبدالله مراداد أبو الخير، مصدر سابق، ص٦١. ومحمد أمين المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٨٨. وكحالة، مصدر سابق، جـ٣، ص ٦٦، وعبدالله بن محمد غازي، نظم الدرر، ص ٢٢.

نصائح لابن علي في جدّة

سعوديون مغتاظون (فشّوا خلقهم) في الديكتاتور بن علي الذي نزل جدّة غير مرحَّب به شعبياً. هذه بعض تعليقات الإنترنت الساخرة:

- من توسط لابن علي لدى الحكومة السعوديية؟ في قناة دريم المذيعة تقول أن رجل أعمال سعودي له مصالح كبيرة جداً مع بن علي هو من توسط له عند الحكومة السعودية! لماذا يحتاج لواسطة وهو مقرب جداً من النائب الثاني؟

- ألا تدري من توسّط؟ إنه الشيطان!

- ماذا قالوا لك؟ هل هو نجار والا كمسري يتوسط له رجل اعمال؟ هذا رئيس دولة، وله علاقاته المميزة مع الاسرة الحاكمة.

- السالفة ما تحتاج واسطة.. أنت فاسد الله يحييك أنت وفسادك!

- هو صاحب نايف من أول.

- من استمرأ الطغيان من مثقفي واعلاميي السلطة (السعودية) وماسحي الجوخ، سيكبرون التجاوزات لبث الرعب في الشعوب كي لا تثور. أقسم بالله لو أن هذه الثورة في طهران أو دمشق أو بيانق يونق أو كوبا أو فنزويلا، لرأينا وسمعنا غير هذه الحكمة وهذا الخوف على حرق كارفور أو قصر بن علي!

- يا زين العابدين بن علي! هذي مجموعة نصائح لقضاء أيام ممتعة في جدة: ١/ البقاء في البيت طوال أيام الأسبوع لان الزحمة في جدة لا تطاق. ٢/ في الويكند عليه بالذهاب إلى سوق "الردسي مول" ويمكنه التجول في الاسياب طولا وعرض بشرط وجود عائلته معه، لأن "السيكيورتي" اللي عند الباب ما في أمل يدخلوه بدون ست الحسن الكوافيرة (ليلى). ٣/ بعد أن يقفل السوق الساعة ١٢ عليه بالتوجه للكورنيش القريب وقدامه خيارات: إما ياخد "نفرين بيك" له وللمدام.. أو يأخد سندويتشات من بوفيه القريات. ويعد العشا ، والتبطح على الكورنيش المدبق، يرجع للبيت. ٤/ يوم الخميس يمكن يرسل السواق ليأتيه بالفول لنفرين، مع حبتي خبز تميس، وليجلس في البيت حتى تطلع روحه. ٥/ قبل صلاة الجمعة ينام، ثم يذهب لأقرب مسجد عشان يسمع الخطب الصحّ! حيسمع لعن اليهود والنصارى وتكفير الحكام وهو كان منهم، وسيسمع تشفي إمام المسجد المتعاطف مع إسلاميي تونس. وبعد أن يرجع من الجمعة يمرّ بأقرب مطعم سمك، يأخد سمكة ناجل ورز مع الصيادية ودوغري على "المدام" يأكل ويتسدّح يتفرّج على قنوات "ام بي سي"، وأنصحه بأن لا يقرب على الجزيرة لأنها شغالة شماتة فيه. ٥/ انتبه من سيارات "جيمس" أمريكي فيها ملتحين. هذولا اسمهم الهيئة.. يعني لو كفشوك مع مضيفة تونسية حتروح فيها، ويمكن يرفسوك حتى تموت. وأخيراً: ترى يا بن علي ما في شي اسمه سينما او مسرح او حفلات موسيقية ولا مهرجان قرطاج.. كل ما هو موجود مطاعم القلزم بجوار محطة الرحيلي؛ وهذا أقصى شيء يمكن أن تنبسط فيه.

- لا هو أكيد بيرتب يعيش في بلد ثاني. ما اعتقد يقدر يعيش في جدة بعد تونس.

- بلغوا الرئيس بن علي: اذا أحب أن يشتري ملابس داخلية، يروح للمحلات اللي قدام عمارة المحمل.

- أشوه أنه ما راح الرياض. طريق الملك عبدالله انتبه تغطس فيه، ترى ما له تصريف. تكفيك غطستك التونسية!

- أرجو نسخ هذا الموضوع لكل المنتديات التونسية والمغاربية ليعرفوا أن جدّة ليست ملجأ للزين؛ ولكنها عقوبة!

- ما عليك منهم يابن علي، هؤلاء فقراء، ونصائحهم لا تناسب الدكتاتوريين أمثالك.

- انصحك تشوف لك أمير وتؤسس معه شركة سميها (سعودي تونيشيا دكتاتوريشن المحدودة)!

- بالمناسبة من هو (كفيل) بن علي بالسعودية؟

- اللهم لا شماتة. يمكن أصير رئيس في المستقبل! نصيحتي لـ (شين العابثين) إذا أردت أفلام أنصحك رح لسوق المحمل.. بس انتبه من أفلام الثورات عشان ما تأثر بنفسيتك.

- بكرة يسوي له سوق ابن داود ثاني! يعني نوازشريف أحسن منه؟!

- الزميل في الديكتاتورية بن علي. إذا بغيت وظيفه بأوفر تايم كويس، أقدر أتوسّط لك في الديوان. أعرف أحدهم بيمشي أمورك من دون دهن سير (ابسط يا عم). وايمانا منا بواجب المشاركه في مسئولية الحياة العائلية وتكاليفها، خذ لك لفّة بسيطة في جدّة أنت والمدام، هناك محلات كوافيرات تبحث عن واحدة شاطرة. المهم أن المدام لسه فاكرة الشغلانة. لا تنس أن ذوق بنات جدة صعب حبتين، لكن ان شاء الله المدام تطلع فاهمة.

- إذا يبي يطلع طلعة محترمة يروح يم بحيرة المسك!

- بحيرة المسك مش ناقصة عفن!

- يا زين العابدين: إذا تبحث عن أراضي رخيصة وتصلح للإستثمار، يمكنك الإتصال بالأخ نواز شريف، فهو يبخص العقار بالأراضي الجدّاوية، ولا تنسانا من السعي الله يخليك.

- واذا الزين يبغي يتكلم عن أمجاده وتاريخه، ممكن نرتب له موعد في ديوانيات الثلوثية والاثنينية والخميسية والأحدية!

- لعنبوك يابن علي.. فيه أحد في الدنيا يفرط في تونس، ويطفش الطخوم اللي فيها؟!

الرئيس: (أنا فهمتكم)!



هذا الحجاز تأملوا صفحاته سفرُ الوجود ومعهدُ الآثار

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات


النسخة المطبوعة


أرشيف المجلة

إتصل بنا

(شكراً قطر) يغضب السعوديين

صانعة الحروب تثأر لنفسها في حكومة السنيورة

من يرقب ملامح وجه وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل وهو يستمع تحت قبة البرلمان اللبناني الى كلمات الشكر والثناء التي كانت تنهال على أمير قطر ورئيس وزرائها تلفته تلك الغصة المكتومه التي حاول الفيصل كبتها ولكنها تسربت الى ابتسامته الغائضة، فقد وجد نفسه في أجواء ليست مريحة خصوصاً وهو يستمع إلى رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي تعمّد في إظهار فرحته الغامرة بنجاح الدور القطري وإطرائه المتكرر على الشيخ حمد، الذي حباه بحفاوة خاصة، بعد أن ختم حوار الدوحة بعبارة إطراء متميّزة (إذا كان أول الغيث قطرة، فكيف إذا كان قطر).





(الحجاز) القردت بكشف قصة الإنقلاب في سوريا بتمويل سعودي

هل تقوّم السعودية سياستها الكارثية؟

في 15 أكتوبر 2006، نشرت (الحجاز) مقالاً تحت عنوان (السعودية تتبنى بشكل صريح مشروع إسقاط النظام السوري)، تناول طبيعة التحركات السعودية المريبة إزاء الحكومة السورية والتي بدأت بدعوة نائب الرئيس السوري السابق المنشق عبد الحليم خدام لزيارة الرياض، حيث التقى الملك وولي العهد الأمير سلطان، وكان لقاء قد جمع رفعت الأسد، شقيق الرئيس السوري السابق حافظ الأسد ونائب الرئيس الأسبق، مع خدام في الرياض لوضع خطة إطاحة نظام الرئيس السوري بشار الأسد. وهذه الأنباء، حسب الحجاز، (جاءت في سياق أنباء أخرى حول دعوة الولايات المتحدة لرفعت الاسد من أجل مناقشة مستقبل سورية ومصير نظام الحكم فيها!!).


من يتآمر على الآخر؟!



أربع إتفاقيات أمنية بين الرياض وواشنطن

السعودية.. قلعة إستراتيجية أميركية

بدأت تلميحات متقطعة تصدر عن الجانب السعودي بشأن إتفاقيات أمنية في أغسطس من العام الماضي، حين بدأ الحديث عن عمليات تطويرية لقوة امنية لحماية المنشآت النفطية في البلاد، قوامها ألف عنصر امني. وقال اللواء منصور التركي المتحدث الأمني بوزارة الداخلية لصحيفة (الشرق الأوسط) السعودية في 30 اغسطس 2007، بأن (هذه القوة الأمنية تأتي في إجراء يتناسب مع متطلبات المرحلة الراهنة) ...



حول اعتقال الناشط الحقوقي

متروك الفالح

دعت منظمة العفو الدولية في بيان عاجل لها (2008/5/20) الى ضرورة إطلاق سراح الدكتور متروك الفالح من السجون السعودية. ففي 19 مايو 2008 قُبض على الدكتور متروك الفالح، وهو أكاديمي وناشط سعودي في مجال حقوق الإنسان، ووضع بمعزل عن العالم الخارجي في مقر المباحث العامة، وأصبح عرضة لخطر التعذيب وغيره من ضروب إساءة المعاملة.

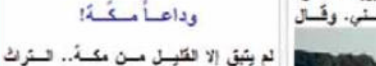


الطبيب: الوطن ليس ملكاً لفئة

أثار اعتقال الإصلاحي الدكتور متروك الفالح ردود فعل غاضبة، خاصة وأن طريقة الإعتقال بدت وكأنها اختطاف، بلا مبررات قانونية وبدون توضيح الإتهامات وبدون التواصل مع محامين أو مع عائلته. وشمل التعاطف مع الفالح عدداً كبيراً من الناشطين الحقوقيين، ومن منظمات المجتمع المدني في داخل وخارج المملكة، كما شمل العشرات من المثقفين والسياسيين.

خالد العمير... (الداخليّة) مازالت في غيّها وهي العدو!

مرة أخرى اقتيد د/ متروك الفالح من وسط مكتبه في حرم الجامعة المصون الذي لم يعد له حرمة كغيرة من الأماكن في هذا الوطن. لقد اعتقل د/ متروك الفالح عام 2004 م في نفس المكان وكانت قوات المباحث تسحبه على الأرض سحباً في مشهد يدل على حقارة مرتكبيه. كان ذنبه الوحيد أنه أراد أن يرى هذا الوطن شامخا عزيز بين الأوطان، وطن يحكمه دستور يحفظ حقوق الإنسان ويفصل السلطات ليعرف المواطن مالذي له ومالذي عليه ولكن كان جزاؤه هو ورفاقه السجن.



وداعاً مكّة!

لم يتبق إلا القليل من مكة.. التراث والتاريخ والعبق الديني.

لقد امتحنها الله امتحانات شتى كان أشدّها سيطرة صنفين من البشر أتيا على روحها؛ جماعة بدوية قبليّة جاهلة لا تفهم معنى ...



لوحة للفنانة صفيّة بن زقر